
التعليقة
على الفوائد الرضوية
التأليف
الإمام الخميني
مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني

بسم الله الرحمن الرحيم





التعليقة
على الفوائد الرضوية



همزمان با گرامیداشت صدمین سالگرد میلاد امام خمینی(سر
رهبر کبیر انقلاب و بنیانگذار جمهوری اسلامی ایران



□ **الاسم الالکتاب: التعلیقه علی الفوائد الرضویه**

- **المطبعة**: مطبعة مؤسسة العروج
- **الطبعة الاولیٰ (خرداد ۱۳۷۵ ، محرم ۱۴۱۷)**: ۳۰۰۰ نسخه
- **الطبعة الثانی**: خرداد ۱۳۷۸ ۳۰۰۰ نسخه
- **الثمن**: ۶۰۰ توماناً

مراکز پخش
خیابان انقلاب، تقاطع حافظ، فروشگاه مرکزی
خیابان انقلاب، بین فروردین و فخر رازی، فروشگاه عروج
حرم مطهر حضرت امام(ره)، ضلع شمالی

تلفن: ۶۷۰۱۲۹۷ - ۶۷۰۶۸۳۳ - ۶۴۰۴۸۷۳
فاکس: ۶۴۰۰۹۱۵

مقدمة التحقيق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وله الحمد كفاء آلائه، وزنة فضله ونعمائه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه، ورحمته وبركاته على آله وصفوة أوليائه، الذين حملوا عنه ما عن اللّه حمله، وعقلوا منه ما عن اللّه عقله، ولذا قرنهم بمُحكم الكتاب، وجعلهم قدوة لأُولي الألباب، صلوات اللّه عليهم، ماهفت قلوبنا إليهم.

وبعد: فانّا نزفّ هذا الكتاب الكريم الموسوم بـ «**الفوائد الرضويّة**» إلى أعلام الفضل من العلماء الراسخين في المعارف الإلهيّة، والمُحقّقين من أُولي الأنظار الثاقبة والغور البعيد في علوم الدين، ونُقدّمه لهم بهذا الشكل الجميل من الإخراج، وبهذه الهيئة الأخاذة المُزدانة بالتعاليق الزاخرة، والتخريجات النافعة، وغير ذلك من الخصائص والمُميّزات التي تعودُ على الباحثين بأجزل الفوائد وأرجى المنافع.

ولايخفى فإنّ هذه الرسالة المُباركة هي في الأصل من بنات يراعة العالم الفاضل والحكيم العارف القاضي سعيد القمّي ـ رحمه اللّه تعالى ـ وقد شرح فيها حديث رأس الجالوت مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام[1] وقد

١ـ وهناك شروح كثيرة لهذا الحديث الشريف لجمع من أعلام المشايخ وأثبات المحققّين نذكر منها:

شرح حديث رأس الجالوت للعلاّمة المحقّق الكبير الميرزا أبوالقاسم الجيلاني القمّي المتوفّى سنة ١٢٣١هـ صاحب الكتاب الحافل الموسوم بـ (قوانين الأُصول). وله عدّة مخطوطات منها ما في مكتبة آيةاللّه العظمى السيد النجفي المرعشي قدس سره في مدينة قم المقدّسة تحت رقم: ←

وقف عليها زعيم الثورة الإسلامية المباركة آية اللّه العظمى الإمام السيد الخميني الكبير ـقدّس سرّه ـ فصوّب نظره وصعّده في أثنائها وأحناءها، وعلّق عليها تعاليق زاهرة زاخرة مشحونة بالتحقيق، حافلة بالمعارف، طافحة بالأنوار، وهو هو البحر المحيط الذي لايُسبر غوره، ولايُنال دركه، ذو بسطة في سائر العلوم الإسلاميّة، وما إليها من المعارف والفنون، وذو الملكة القُدسيّة الراسخة الفريدة في المعقول والمنقول.

جمعت معاني الحمد جمعاً فلم أكن
لأُحصيَ بالألفاظ تلك المعانيا
مناقبك الزهر استضاءت فأصبحت
تفاخر في أوج السماء الدراريا

القاضي سعيد

هو محمّد سعيد بن محمّد مفيد القمّي المعروف بالقاضي سعيد والملقّب

١٢٥٩ و ٥٣٢٨.

شرح آخر للمحقق الشيخ محمَّد المُلَّقب بعبدالصاحب ابن المولى المحقّق أحمد ابن المولى المحقّق مهدي النراقي. ذكره العلاّمة الطهراني في الذريعة ١٣: ١٩٩/٦٩٦ وقال: إنّه تمّم به شرح جدّه المولى مهدي النراقي الذي توفّي قبل إتمامه لشرح حديث الرضا عليه السلام، فتداركه سبطه وطبع في ذيل (مشكلات العلوم) لجدّه، وطبع أيضاً مع رسالة له في التوحيد سنة ١٢٨٤هـ. أقول: وهناك نسخة مخطوطة لهذا الشرح في مكتبة السيد المرعشي أيضاً برقم: ٥٨٩٣.

و شرح آخر للحكيم العارف عبدالرحيم بن محمّد يونس الدماوندي. نسخة منه في مكتبة آيةاللّه العظمى النجفي المرعشي قدّس سرّه برقم: ٦٧١٣.

وشرح آخر للمولى محمّدبن الحاج محمّد حسن المشهدي الطوسي المتوفّى سنة ١٢٥٧هـ ضمن كتابه (غنيمة الحجاز في حل الألغاز) الذي شرح فيه حديثين أحدهما عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والآخر حديث رأس الجالوت. انظر الذريعة للمحقّق الطهراني ١٦: ٧٠/٣٤٩.

وشرح آخر للعلاّمة المحقّق الشيخ أحمد بن زين الإحسائي المتوفى سنة ١٢٤٣هـ.

بالحكيم الصغير، ولد سنة ١٠٤٩هـ فتألّق في سماء المعارف الدينية الشيعيّة، حتى بلغ الذروة في الكمالات الروحيّة والكشفيّة، حتى عُدَّ في طليعة أفاضل حكماء إيران وعرفائها أثناء العهد الصفوي، فكان بذلك من قادة الفكر في ذلك العصر.

وإضافة إلى تمهّره وتخصّصه ـ رحمه اللّه ـ في المباحث الصوفيّة والعرفانيّة والحكمة المشّائية والإشراقية، كان قد جمع من العلوم الرياضيّة والطبّية وغيرها شيئاً كثيراً، وتبحَّر في العلوم الفقهيّة والحديثيّة والرجاليّة والتفسيريّة، وكان دأبه البحث عن غوامض العلوم على الاتصال، فارتشف من المعارف من سلسال محمَّدٍ وآل محمَّد وسلسبيله السائغ.

وتبوّء منصب القضاء لرسوخ ملكته في الفقه وإحاطته بأبوابه، فكانت له ثمة إمامة دينية وزعامة زمنية، ولذا سُمي بـ (القاضي).

تتلمذ في العلوم العقلية وما إليها من فنون على يد الملّا محسن الفيض الكاشاني، والحكيم المحقّق عبدالرزاق اللاهيجي، والعارف العالم الملاّ رجب علي التبريزي.

وتأثّر كثيراً في علوم العرفان والحكمة المتعالية بالفيض، وفي الحكمة البحثيّة والمشّائية بالملّا رجب علي، والملّا عبدالرزاق، حتى توسط باحة الفضلاء وأخذ منها مكانه.

وعلى هذا فإنّه كان يُقرّر آراء الملّا صدرا ويغوص في بيان معاني الكلمات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام فيؤلّها تأويلاً عرفانياً أكثر ممّا ورد في شروح الملّا صدرا وتعليقاته، وهذا يعني أنّه انغمر في التصوّف وتعمّق في التأويلات التي لاتخلو أحياناً من الإفراط والمبالغة أكثر من الفيض وصدرالدين الشيرازي.

رأي الإمام الخميني قدّس سرّه فيه

لو أردنا أن ننظر إلى القاضي سعيد من منظار الإمام الخميني قدّس سرّه للاحظنا أنّه يُجسّد برأيه أحد أساطين الحكمة والمعرفة الإسلامية، الأمر الذي أشار إليه مراراً وتكراراً في حياته الشريفة، مُثمّناً دوره، مُشيّداً بمكانته وفضيلته وعلمه.

يقول أحد تلامذة الإمام رحمه اللّه: إنَّه ـ أي الإمام ـ كان يُعبّر عن احترام خاص لمحيي الدين في المدرسة السنّية، ولصدر المتألّهين والقاضي سعيد القمّي في مدرسة أهل البيت، ما ذلك إلاّ لسبب المنهل العرفاني الرحيق الذي نهلوا منه، ولهذا تراه يُكنّ لهم كل احترام، ويقدّرهم غاية التقدير، فقد جاء ـ مثلاً ـ في كتابه (آداب الصلاة) مانصّه:

وبالجملة فإنَّ نسبة فلسفة حكماء الإسلام الحاليّة والمعارف الجليلة لأهل المعرفة إلى حكمة اليونان إنّما تدلّل على الجهل بكتب القوم مثل كتب الفيلسوف الإسلامي العظيم الشأن صدرالمتألّهين قدّس سرّه، واستاذه العظيم المحقّق الداماد قدّس سرّه، وتلميذه الجليل الفيض الكاشاني قدّس سرّه، والتلميذ العظيم الشأن للفيض والعارف الجليل الإيماني القاضي سعيد القمي قدّس سرّه[١].

ويقول في بداية التعليقة على شرح حديث رأس الجالوت:

وبعد فإنّ ممّا وفّقني التأييدات الربوبيّة، وأيّدني التوفيقات القدسيّة الأُلوهيّة، هو الاستسعاد بزيارة هذا الحديث القدّيس، النازل عن سماء الوحي والتقديس، وشرحه الذي أفاده شيخ العرفاء الكاملين، قدوة أصحاب القلوب

١ـ الآداب المعنويّة للصلاة ترجمة العلاّمة الفهري: ٤٦٧ ـ٤٦٨.

والسالكين، كاشف إشارات الأخبار ورموزها، مُخرج لباب الآثار وكنوزها، فخر الطائفة وعينها، وذخر أهل المعرفة وزينها، المؤيّد بتأييدات الربّ المجيد، القاضي الشريف السعيد، أفاض اللّه عليه من أنوار رحمته الواسعة، وتجلّى عليه بالأنوار الباهرة[١].

ويقول في موضع آخر:

وما ذكر هذا العارف العظيم، والسالك على الصراط المستقيم، قدَّس اللّه نفسه، وروّح رمسه، تحقيق رشيق، وكلام عرفاني دقيق، كيف وهو من أعظم عرفاء الشيعة، وأكرم أُمناء الشريعة[٢].

الخصائص الفكريّة للقاضي سعيد

١ـ إنَّه ينكر في مواضع عديدة من مؤلّفاته الحركة في الجوهر؛ مثال ذلك ما جاء في صفحة ١٣٧ من هذا الكتاب فقال: وأمّا ثبات الطبيعة الجسميّة وجمودها، فمن جهة أنَّ ذاتها ليست نفس الحركة والسيلان كما زعم بعض الأساتيذ الأعلام، بل هي ذات ثابتة بنفسها، والحركة عارضة لها من حيثُ القابلية وعروض اللّوازم الذاتية لمعروضها... .

٢ـ إنّه يُرجع صفات الحقّ إلى الأُمور العدميّة.

يقول الإمام الخميني قدّس سرّه في كتابه (الأربعون حديثاً):

يرجع البعض صفات الحقّ إلى الأُمور العدمية، فيعتبر العلم عدم الجهل، والقدرة عدم العجز، ورأيت من العرفاء شخصاً يصرّ على هذا المعنى وهو المرحوم العارف الجليل القاضي سعيد القمّي[٣].

١ـ أُنظر صفحة: ٣٧ من هذا الكتاب.

٢ـ أُنظر صفحة: ٩٨ ـ ٩٩.

٣ـ الأربعون حديثاً: ٥٤٧.

ويقول في (مصباح الهداية): إنّي لأتعجّب من العارف المُتقدّم ذكره ـ القاضي سعيد ـ مع علوّ شأنه وقوّة سلوكه، كيف ذهل عن ذلك المقام الذي هو مقام نظر العرفاء العظام، حتى حكم بنفي الصفات الثبوتيّة عن الحقّ جلّ شأنه، وحكم بأنّ الصفات كلّها ترجع إلى معان سلبيّة[١].

٣ـ إنّه يقول بالاشتراك اللفظي بين الأسماء الإلهيّة والخلقيّة، وقد ألّف رسالة في الاشتراك اللّفظي لأسماء اللّه تعالى وأوردها في مقدّمة كتاب (كليد بهشت)[٢].

يقول الإمام رحمه اللّه في (مصباح الهداية) أيضاً: وأعجب منه الحكم بالاشتراك اللّفظي بين الأسماء الإلهيّة والخلقيّة والصفات الواقعة على الحقّ والخلق[٣].

٤ـ إنه يقدّم القدر على القضاء خلافاً للمشهور فقد ورد في الفوائد: ثم اعلم أنّ بعد وجود التعليميات التي هي مظهر القدر يقضي اللّه بوجود الأشخاص الكونيّة، فتلك الأشخاص مطلع القضاء الإلهي ومظهر الحكم الحتم الربانيّ، هكذا ينبغي أن يفهم مراتب الخصال والأسباب من العلم والمشيّة والإرادة والقدر والقضاء من ربّ الأرباب[٤].

٥ـ إنّه يقول: إنّ مايُوصف بوصف له صورة. وهذا الرأي يثير استغراب الإمام رحمه اللّه فيردّ عليه في مصباح الهداية: وأعجب من الأعجب ماسلك في الطليعة الأولى من البوارق الملكوتيّة من أنّ مايوصف بوصف فله صورة، لأنّ الوصف أعظم الحدود للشيء في المعاني ولا إحاطة أوضح من إحاطة الصفة في

---

١ ـ مصباح الهداية: ٤٣.

٢ ـ كليد بهشت: ٣٥.

٣ ـ مصباح الهداية: ٤٣.

٤ ـ انظر صفحة: ١٤٥ من هذا الكتاب.

العوالي وجعل ذلك سرّ ماورد في الخبر (**إنّ الله لايوصف**) مع ذهابه قدّس سرّه في تلك الرسالة على ماسمعت في المصابيح السابقة إلى أنّ كلّ الأسماء مشتمل على جميع مراتب الأسماء، فإذا كانت الأسماء كلّ الحقائق فلها مقام الإطلاق كما للاسم اللّه فكانت لمبادئها التي هي الصفات مقام الإطلاق.

ثم يقول الإمام رحمه اللّه:

وظنّي أنّ ذهابه إلى ذلك لعدم استطاعته على جمع الأخبار فوقع فيما وقع [١].

٦ـ يسلك القاضي سعيد مسلك فلاسفة الحكمة البحثيّة، ويقول: بأنّ العقل الأوّل هو الصادر الأوّل، إلاّ أنّ الإمام رحمه اللّه اعتبر المشيئة الإلهيّة الصادر الأوّل طبقاً للمأثور (**خلق اللّه الأشياء بالمشيّة والمشيّة بنفسها**)[٢]، فقال في التعليقة:

إنّ العلّة صورة تماميّة المعلول وشيئيّة الشيء بصورته التامّة،فالجواب عن الواحد المتكثّر ـ الذي هو مقام العقل على تحقيق هذا العارف الكامل، ومقام المشيّة المطلقة على رأي هذا الفقير العاطل ـ جواب عن سائر الحقائق المسؤول عنها.

امّا على طريقنا فظاهر، فإنّ المشيّة المُطلقة مقام فاعليّة الحقّ المُتعال وإلهية القيّوم ذي الجلال، وقد ورد من طريق أهل بيت الوحي والتنزيل ـ عليهم صلوات الربّ الجليل ـ (**خلق اللّه الأشياء بالمشيّة والمشيّة بنفسها**).

وأمّا على طريقته ـ قدّس اللّه نفسه ـ فلأنّ العقل أوّل صادر من ربّ العزّة وأوّل ظهور من مظاهر المشيّة، على ما ساق إليه البراهين العالية[٣].

---

١ ـ مصباح الهداية: ٤٣.

٢ـ التوحيد للشيخ الصدوق: ٨/٣٢٩ ـ باب ٥٥ و ص١٤٨ مع اختلاف.

٣ـ انظر صفحة: ٦٣ من هذا الكتاب.

ويقول في صفحة ٩٨ من التعليقة:

وسرّ التعبير عن مقام المشيّة المطلقة بالواحد المتكثّر، وعن الموجود العقلي بالمتكثّر المتوحّد هو أنّ المشيّة لها الوحدانيّة الذاتيّة الحقيقيّة ظلّ الوحدانيّة الحقّة الحقيقيّة وليس فيها تكثّر بحسب الذات ولاتعدّد الجهات والحيثيّات، وهي الأمر الواحد المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[1] وإنّما التكثّر باعتبار تلبّسه بلباس التعيّنات وتنزّله في منازل المُقيّدات، وهذا هو التكثّر العرضي، ولاتكثّر في نظر أرباب المشاهدات، وهو مقام الألوهيّة والربوبيّة والقيّوميّة والقدّوسيّة ومقام الأسماء والصفات والرحمانيّة والرحيميّة الفعليّة، وأمّا الموجود العقلي فقد عرفت حاله ومرجعه ومآله.

وما ذكر هذا العارف العظيم والسالك على الصراط المستقيم ـ قدّس اللّه نفسه و روّح رمسه ـ تحقيق رشيق و كلام عرفانيّ دقيق كيف؟ وهو من أعظم عرفاء الشيعة وأكرم أُمناء الشريعة، ولكن ما ذكرنا مع قصور النظر وعمى القلب والبصر بمقام السير العلميّ أليق و بحضرة الكبرياء ألصق.

مُضافاً لذلك، فقد أورد الإمام إشكالات أُخرى على شرح القاضي، ذكرها على نحوٍ لايمسّ احترامه الفائق له، ويمكن مراجعتها على صفحات الكتاب هذا.

مؤلّفاته:

يقول صاحب الذريعة رحمه اللّه:

أراد المؤلّف أن يؤلّف أربعين رسالة ولم يمهله الأجل.

وإليكم جملة ماعثرنا عليه من أسماء كتب ومصنّفات نُسبت إليه في

١ـ القمر ٥٤: ٥٠.

معاجم الرجال وكتب التراجم وهي كالتالي:

١ ـ أسرار الصلاة، طبع في حاشية شرح الهداية للملاّ صدرا.

٢ ـ أسرار الصنايع، في الصناعات المنطقيّة الخمسة (الشعر والخطابة والجدل والبرهان والمغالطة).

٣ ـ حاشية على شرح الإشارات للخواجة.

٤ ـ شرح توحيد الصدوق رحمه اللّه في ثلاثة مجلّدات مخطوطة.

٥ ـ شرح حديث البساط.

٦ ـ شرح حديث الغمام.

٧ ـ كليد بهشت (مفتاح الجنّة) رسالة في الاشتراك اللّفظي للأسماء بالفارسيّة.

٨ ـ مرقاة الأسرار و معراج الأنوار.

٩ ـ إشارة وبشارة.

١٠ ـ النفحات الإلهيّة والخواطر الإلهاميّة.

١١ ـ الأنوار القدسيّة.

١٢ ـ المقصد الأسنى.

١٣ ـ الحديقة الورديّة في سوانح المعراجيّة.

١٤ ـ البرهان القاطع والنور الساطع.

١٥ ـ الطلائع والبوارق.

١٦ ـ رسالة في الفلسفة الإلهيّة.

١٧ ـ رسالة في اتّحاد العاقل والمعقول.

١٨ ـ الجبر والاختيار.

١٩ ـ فضل العلم والعالم والمُتعلّم.

٢٠ ـ الفوائد الرضويّة.

كتاب الفوائد الرضويّة:

الفوائد الرضويّة أو شرح حديث رأس الجالوت (أكبر علماء اليهود) ويتناول بالشرح جواب الإمام الرضا عليه السلام للعالم اليهودي الّذي سأله: يا مولاي ما الكفر والإيمان؟ وما الكفران؟ ما الجنة والنيران؟ وما الشيطانان اللذان كلاهما المرجّوان؟ وقد نطق كلام الرحمن بما قلت. حيث قال في سورة الرحمن: ﴿**خَلَقَ الإنسانَ ـ عَلَّمَهُ البَيانَ**﴾[١]؟

فلمّا سمع الرضا عليه السلام كلامه لم يحر جواباً، ونكت بإصبعه الأرض وأطرق مليّاً، فلمّا رأى رأس الجالوت سكوته عليه السلام حمله على عيّه وشجّعته نفسه بسؤال آخر، فقال: يا رئيس المسلمين، ما الواحد المُتكثّر والمُتكثّر المُتوحّد والمُوجَد المُوجِد والجاري المُنجمد والناقص الزائد؟

فلمّا سمع الرضا عليه السلام كلامه ورأى تسويل نفسه له، قال: ايش تقول يا ابن أبيه، وممّن تقول ولمن تقول؟ بينا أنت أنت صرنا نحن نحن، فهذا جواب مُوجز.

وأمّا الجواب المفصّل، فأقول: اعلم إن كنت الداري والحمدللّه الباري، أنّ الكفر كفران، كفر باللّه وكفر بالشيطان وهما السيّان المقبولان المردودان أحدهما الجنّة والآخر النيران وهما اللذان المتّفقان المختلفان وهما المرجوّان، ونصّ به الرحمن حيث قال: ﴿**مرجَ البحرين يلتقيانِ ـ بينهُما برزخٌ لايبغيانِ ـ فبأيِّ آلاءِ ربّكُما تكذّبانِ**﴾[٢].

ويعلم قولنا من كان من سنخ الإنسان وبما قلنا ظهر جواب باقي سؤالاتك والحمدللّه الرحمن والصلاة على رسوله المبعوث على الإنس والجان ولعنةاللّه

١ـ الرحمن ٥٥: ٣ ـ ٤.

٢ـ الرحمن ٥٥: ١٩ ـ ٢١.

على الشيطان.

فلمّا رأى الجالوت كلامه عليه السلام بهت وتحيّر وشهق شهقة. وقال: أشهد أنْ لا إله إلاّ اللّه وأنَّ محمَّداً رسول اللّه وأنّك وليّ اللّه ووصيّ رسوله ومعدن علمه حقّاً حقّاً.

ويشرح القاضي بمهارته الخاصّة هذا الحديث الشريف، ويخوض في لججه بذوق عرفانيّ ونطق قرآنيّ ممّا يثير استحسان الإمام رحمه اللّه وثنائه عليه في كلّ موضع وفقرة، ويبادر إلى كتابة تعليقة عليه إتماماً للفائدة الكامنة في الأسرار التي أودعها القاضي في شرحه والتي يتعذّر على الآخرين كشفها وفهمها.

أبرز فقرات الكتاب

رغم أنّ هذا الشرح بمُجمله ينطوي على تحقيق وتدقيق ببيان رقيق ودقيق ولكن تتألّق بعض فقراته وتبرز بشكل خاص من بين أجزاء الكتاب وأبوابه، وفيما يلي نكتفي بذكر أبرز تلك الفقرات:

قد عرفت أنّ الشيطان هنا عبارة عمّا سوى اللّه، فاعلم أنّ الكفر بالشيطان هو اعتقاد أنّ العالم غيب ما ظهر قط، وإنّما الظاهر هواللّه فحسب، وهذا كفر مُحقّقي الصوفيّة حيث زعموا أنّه سبحانه ظهر بصورة كلّ شيء، فهذا الزاعم أخفى الشيء الذي هو السوي ـ أي: العالم ـ وهو الكفر بالشيطان. ولا تتوحش من ذلك فإنّه أعلى درجات بالنظر إلى قوم، ولكن (**حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين**).

قال صاحب الفتوحات: إنَّ العالم غيب لم يظهر قطّ، والحقّ هوالظاهر ماغاب قطّ، والناس في هذه المسألة على عكس الصواب فإنّهم يقولون: إنّ الحقّ تعالى غيب والعالم هو الظاهر فهم بهذا الاعتبار في مقتضى هذا الشرك.

أقول: وقد غفل هذاالعارف عن الشرك اللازم من زعمه، حيث حكم

بظهور الحقّ تعالى وخفاء العالم، وهو أيضاً من أنحاء الشرك الخفي.

وأمّا الإيمان الحقيقي فهو الاعتقاد بأنّ اللّه هو الظاهر الباطن والشاهد الغائب فهو الظاهر إذا طلبته في البطون، وهو الباطن إذا تفحّصت عنه في الظهور وهو المُنزّه عنهما إذا طلبته بكليهما وأنّ العالم ظاهر باللّه خفي بذاته، فتعرّف فإنّه باب عظيم للتوحيد[١].

وقال الإمام رحمه اللّه في تعليقته:

ولايكون عن هذا الشرك خالصاً إلاّ من يرى استهلاك جميع الموجودات ذاتاً وصفة وشأناً في الحقّ القيّوم، بل التوحيد التام هو التحقّق بهذا المقام[٢].

الإمام والفوائد

يعتبر شرح حديث رأس الجالوت أوّل رسالة للقاضي سعيد يراجعها الإمام رحمه اللّه كما جاء في مُقدّمة التعليقة، فيشمّر سماحته عن ساعد الجدّ للتعليق عليها، لأنّ أسرار هذا الكتاب تحتاج إلى كشف، وأستارها إلى إزاحة، ويقدّم على كتابة تعليقة بمستوى الكتاب أو أفضل منه، ويودعها جواهر يتلألأ ما بين سطورها، ولعلّ من أبرزها قوله:

انّ عود الموجودات إلى اللّه تعالى بتوسّط الولي المطلق صاحب النفس الكليّة الإلهيّة وواجد مرتبة العقل، وأنّ الموجودات بمنزلة القوى والآلات والمتفرّعات من وجود الإنسان الكامل، فكما أنّ بدوّ إيجادها من الحضرة الغيب بتوسط ربّ الإنسان الكامل، وفي الحضرة الشهادة بتوسّط نفس الإنسان الكامل كذلك عودها وختمها.

و لهذا كانت استقامة الأُمّة استقامة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وورد

١ـ شرح حديث رأس الجالوت: ٦٦ ـ ٦٨.

٢ـ أُنظر صفحة: ٦٧ من هذا الكتاب.

منه صلّى اللّه عليه وآله عند قوله تعالى ـ في سورة هود ـ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[١] «شيّبتني سورة هود» لمكان هذه الآية، وإلاّ فهو صلّى اللّه عليه وآله بوجوده المقدّس ميزان الاستقامة.

وورد في بعض الأدعية عند الدعاء لبقيّة اللّه في الأرضين وحجّة اللّه على العالمين صاحب الأمر صلوات اللّه عليه و أرواحنا له الفداء بقوله: «أمناً يعبدك لا يشرك بك شيئاً» مع كونه روحي له الفداء خالصاً عن أنحاء الشرك فعلاً وصفةً وذاتاً، فشرك الأُمّة وعبادتهم يعدّ منه لكونه الأصل وسائر الناس من فروعه[٢].

وهنا يمكن أن نتحسّس ألطف أفكار الإمام، ممّا تستحق أن تدوّن بماء الذهب على الصدور، في أنّه اعتبر عود الموجودات إلى اللّه تعالى بتوسّط الولي المُطلق صاحب النفس الكليّة الإلهيّة، واجد مرتبة العقل، وأنّ الموجودات بمنزلة القوى والآلات من وجود الإنسان الكامل.

والوليّ المُطلق هو النبيّ الأكرم صلّى اللّه عليه وآله، ومصداقه في الحال الحاضر إمام العصر سلام اللّه عليه، ولهذا فإنّ عودة كلّ الموجودات إلى الحضرة الإلهيّة يكون بتوسّطه.

النسخ المعتمدة في التحقيق:

اعتمدنا على تحقيق شرح القاضي سعيد عدّة نسخ هي كالتالي:

١ ـ النسخة المحفوظةفي مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، وهي ضمن مجموعة تحت رقم ٤٦٣٧/١ ورمز هذه النسخة «ر».

٢ ـ نسخة أُخرى محفوظة أيضاً في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران ضمن مجموعة تحمل رقم ٥٥٠٠/٩ و نرمز لها بـ «م».

١ـ هود١١: ١١٢.

٢ـ أُنظر صفحة ١٠٩ ـ ١١٠ من هذا الكتاب.

٣ ـ النسخة المرقّمة ٤٣٥٣ وهي في خزائن مكتبة آيةاللّه العظمى السيد النجفي المرعشي قدّس سرّه و رمزها«س».

٤ ـ نسخة أُخرى محفوظة في مكتبة آية اللّه العظمى السيد النجفي المرعشي قدّس سرّه لم تدخل بعد في سلك فهرست المكتبة ورمزنا لهابـ «ل». وعلى حواشيها كتبت تعليقات السيد الإمام (قده).

وقد وقفنا عليها بمساعدة عميد المكتبة سماحة حجّةالإسلام والمسلمين الدكتور السيد محمود النجفي المرعشي حفظه اللّه تعالى.

منهج التحقيق:

١ ـ اتبعنا في ضبط النص على منهج التلفيق بين النسخ الخطّيّة.

٢ ـ تقطيع النصوص على المنهج المعروف المألوف عند ذوي الخبرة ، لإبرازه بشكل علمي مُتناسق.

٣ ـ استخراج الآيات القرآنيّة والإشارة إلى اسم السورة الشريفة ورقم الآية المباركة فيها.

٤ ـ استخراج الأحاديث والأدعية والزيارات من مصادرها.

٥ ـ استخراج أقوال وآراء العلماء والمُصنّفين من مظانّها.

٦ ـ توضيح اللّغات المُشكلة.

٧ ـ عملنا في آخر الكتاب عدّة فهارس فنّية جامعة، تُعين الباحث وتُرشد المحقّق اِلى مايصبو إليه بسهولة ويُسر.

وهنا لابُدَّ أن ننوّه بجهود الإخوة المحقّقين المباركة في مؤسّستنا لما بذلوه من جهد وعناء في سبيل إخراج هذا السفر القيّم المبارك، داعين اللّه سبحانه وتعالى لهم بالتأييد والتسديد. ونرجو اللّه تعالى أن يتقبّل هذا المجهود بعين لطفه و كرمه وأن يرعاه بالقبول.

هذا ونحن نضع لمساتنا الأخيرة لتقديم هذا الكتاب فاجأنا القضاء بمصيبةٍ مُلمّة أقضت جامعة المسلمين، ألا وهي فقد الرجل الأوحد بقيّة الإمام الراحل سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيد أحمد الخميني رضوان اللّه تعالى عليه، الذي كان مجاهداً لايعرف الكلل، ومخلصاً واعياً وعالماً مضحياً في سبيل الثورة الإسلامية.

نسأل اللّه تعالى علوّ الدّرجات للفقيد السعيد وأن يحشره مع أوليائه الطاهرين. وإنّاللّه وإنّا اِليه راجعون.

قسم التحقيق ـ مؤسّسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني قدّس سرّه

فرع قم المقدّسة

٢/ ذوالقعدة الحرام/١٤١٥هـ ق

١٣٧٤/١/١٤هـ ش

نماذج مصورة
من مخطوطات النسخ المعتمدة
في التحقيق

فوائد الرضوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد المتوحد والفرد المتفرد الذي توحد بالتوحيد
في توحده وتفرد بالتفريد في تفرده، انبجست منه الكثرات بتجليه
بالوحدة وابتدأت منه الموجودات بربطها الفردية سبحانه وتعالى
في كبريائه وتقدسه والصلوة على نبي الرحمة وجامع مجاري الوحدة في
الكثرة انسان العين وعين الانسان والعالم بالبيان محمد
المبعوث على الانس والجان والمنعوت بنعت الفرقان والموصوف
بأن خلقه القرآن وعلى وصيه الذي ثبت بنيه اولاد النبي وناديه
... سيد الانوار بانفس الجلي وعلى آله الذين هم نقاوة جوهر
النبوة والولاية وهم اولياء الرحمن والمقصودون من ايجاد الاكوان
ما جرى الجاري على الجاري وفضل الزائر على الناقصات
اما بعد فيقول الفقير الى الله الغني ... بن محمد ...
المشتهر بعبد الله ... يقول ان الحكمة كل الحكمة ماورد
في الكتاب والسنة والعلم حق العلم ما صدر عن معدن
العلم ومن في اخبار الائمة الطاهرين الا ان ...

الصفحة الاولى من نسخة «ل»

توسلي والله ولي في جميع احوالي وهو حسبي ألفق تسويد

يوم الثلثا رابع عشر ربيع الأول سنة تسع وتسعين والف

علي يدي مؤلفه حامداً مصلياً واتفق استنساخه علي

يدي العبد الفقير المر... عن مجالسة ذوات الانفس المقلدة الراضية

الملتهي بشهوات نفسه الامارة المحبوس في طاموزة الطبيعة

الخسيسة المتبع زخارف الدنيا الدنية الاثم الدلي... خليل

ابن محمد الحسيني الوازي الغروي ابي القاسم عفي عنهما

في يوم السبت ثاني ثاني الجمادين من السنة الثامنة والاربعين

بعد الالف والثلاثمائة هجرية

على مهاجرها الاف

التحف والتحية

١٣٤٩

٢ج٢

وقف كتابخانه حضرت آية الله العظمى

مرعشى نجفى - قم - ايران

الصفحة الأخيرة من نسخة «ل»

العبد المذنب العاصي محمد بن المدعو بسعيد القاضي [illegible] الشهير

الذي [illegible] سنة ١٩٢ والحمد لله اولا واخرا حرره العبد [illegible] في

دار الطغيان والمعاصي

اصبهان [illegible]

بسم الله [illegible]

الحمد لله العالم المتوحد والفرد [illegible] الذي توحد بالتوحيد في [illegible]

بالفرد [illegible] انبعثت منه الكثرات [illegible] وابتدأت منه [illegible]

[illegible] سبحانه [illegible] والصلاة على [illegible] وجمع [illegible]

الوحدة والكثرة انسان العين وعين الانسان والامام البيان محمد المبعوث على

الانس والجان والمنعوت بنعوت القرآن هو الموصوف بان خلقه القرآن

وعلى وصيه الذي تشعب منه اولاد النبي وتابعه في [illegible]

وعلى اله الذين هم [illegible] وجود النبي والولي وهم [illegible] الرحمن والقمر [illegible]

الاكوان [illegible] على الجامدات [illegible] الزائد على [illegible]

[illegible] الله الغني والمتمسك بحبل [illegible] محمد المشتهر بسعيد الشريف [illegible]

ان الحكمة [illegible] في الكتاب والسنة والعلم [illegible]

العلم وان [illegible] الائمة الطاهرين [illegible] ان في ذلك [illegible]

للعالمين [illegible] الحكمة ومعدن الوحي والرسالة [illegible]

حملة [illegible] وجبرئيل في [illegible]

[illegible] وفيهم الامام المبين [illegible]

احصيناه في امام مبين [illegible] رواه اصحابنا [illegible]

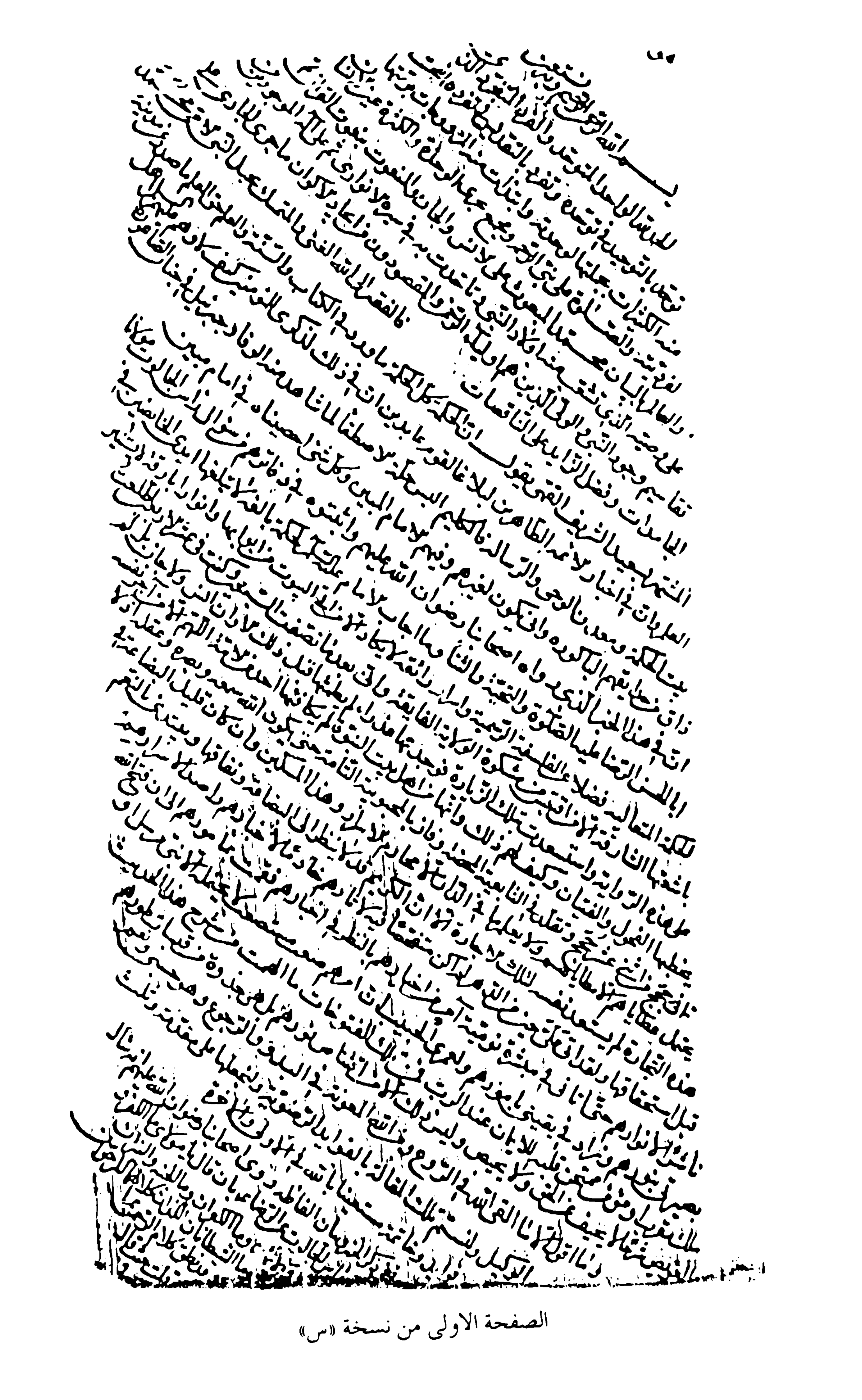
[illegible] في دفاترهم [illegible] مولانا [illegible]

الامام [illegible] بالغة [illegible] الثعالبة [illegible]

الصفحة الاولى من نسخة «م»

تحققت العقول بوحدتها وجملتها وبثبتيه بحركة الاشواق وتعهدت الارواح بلمزنها
وبارادته وحدث تلك المعلومات في بساط الكون فقد رأجالها واعمارها وارزاقها وفتحها
بما هو الصلاح لها وهذا الذي قلنا يعرفه من سبقت من الله الحسنى ١٠ . . . ٠ ممكنات لمن
بذلت جهدك واعملت رشدك ان تجعل كلامن السؤالين الآن الاول لجواب اجمالي
والثاني تفصيلي وسهل عليك معرفة ذلك اذا راعيت الاصول الملقاة عليك في
تضاعيف ما قرع سمعك والله الموفق والمعين ... هذا الذي تلونا عليك في
تلك الرقيمة انما هو من الاسرار التي خص الله به فقراء عباده بالبراهين القويمة مع
معاضدة المجاهدات الذوقية والرياضات العقلية فاياك ثم اياك والله عون ... في
دنياك واخراك من ان تضيع لاهل هذه الدار فان ربك لبالمرصاد ثم اني ان اصبت
فمن الله وبتوفيقه واحمد الله وان اخطأت فمن نفسي واستغفر الله اللهم صل
على اصفى المصطفين وسيد الكونين ونور العالمين محمد المبعوث على الثقلين وآله
الهادين الى سعادة النشأتين واجعل مستور هذه الاسرار صدور الاحرار واحفظها
من اختطاف ايدي الاشرار وعليه توكلي واليه انقطاعي وبه من شر خلقه اعتصامي
وبمحمد والصلوات الله عليهم توسلي والله ولي جميع احوالي وهو حسبي اتفق تسويدها
يوم الثلثا رابع عشر ربيع المولود سنة تسع
وتسعين والف على يد مؤلفه

الصفحة الأخيرة من نسخة «م»



الصفحة الاولى من نسخة «س»

الصادر لا تلمح كثرته من الذي صوره السائل في كلامه حيث قال ما الواحد المتكثر انا ظاهر الوحدة فالصادر

من الواحد المحض اما الكثرة فلا لانه قوله نحن على ان [illegible] في الجواب [illegible] اعلم ان السائل

اذا عرف [illegible] عليه اجاب بما فوق مسؤله وفوق ما لم يحط به سائله من بيان هذا السر [illegible]

المصون يمكنه التفطن بانه [illegible] اعلم هذه الحقايق منه بل انتشرت هذه الاسرار منهم عليهم السلام على العالمين

الانبياء والاولياء والحكماء المتألهين وايضا اشار [illegible] في ذلك الكلام الى ان ذلك الصادر والامر

نورهم الساطع وبرهانهم القاطع حيث قال صرنا نحن [illegible] اشارة الى انهم [illegible] اول من قرع باب الوجود

الايجاد واقدم من نظر اليهم بعين الرحمة والوداد حين ما نظر الى نفسه بل بعين [illegible] ذاته في ذاته ومنهم

عليهم السلام استنارت سائر الموجودات وتحققت الحقايق وتذوتت الذوات وايضا لما ظهر من كلامه

[illegible] ان الواحد المتكثر انما صار من رؤية المبدأ الاول نفسه ومن تعقله فانه قال جل العلي [illegible]

[illegible] ان هذه الرؤية والعلم الذاتي [illegible] صدور العقل [illegible] الحق في العقل والنسبة

التي تظهرها النفس الكلية الى اظهار الجواهر الموجودة في سر العقل ومعدن النور في بساط الشهود [illegible]

الارادة الربانية والعناية الرحمانية التي يحملها الطبيعة الكلية الى بسط هذا البساط [illegible]

وذلك البساط هو الجسم الكلي المعبر عنه في التنزيل [illegible]

اسعادها من بيان آجالها وارزاقها ومدد اعمارها وبالجملة خيرها وشرها [illegible]

وايضا فقد استقر في هذا [illegible] ان هذه الخمسة مرجعها الى شيء واحد بالذات لكن هو بالذات

شيء وبالعرض شيء آخر ولما تقرر [illegible] ان العقل نفس [illegible] ان النفس عقل [illegible] بالعرض وهذا

من الاسرار التي [illegible] الاحرار فثبت فعلى هذا فالجواب من الواحد جواب عن الكل ضمنا

[illegible] هذه البيانات انه تعالى علم ورأى وأراد وقدر ثم قضى [illegible] تحققت المعلومات والعلوم الالهية [illegible]

وجعلها [illegible] تعينت وتحركت الاشواق [illegible] وجدت تلك المعلومات في بساط الكون

[illegible] آجالها واعمارها [illegible] هذا الذي [illegible]

يمكنك [illegible] ان تحمل [illegible] الجوابين عن كلا السؤالين الا ان الاول

جواب اجمالي عنهما والثاني تفصيلي ويسهل عليك معرفة ذلك ان راعيت الاصول الملقاة

عليك في تضاعيف [illegible] والله الموفق المعين هذا الذي [illegible]

عليك في تلك الصحيفة [illegible] من الاسرار التي خصنا الله بها [illegible]

بالبراهين القويمة مع معاضدة المجاهدات الذوقية

والرياضات الشرعية فاياك ثم اياك ان

[illegible]

[illegible] لاهل اللداد

بالرشاد اللهم اجعل [illegible] واحفظها من [illegible] وعلى الله توكلنا [illegible]

[illegible] والحمد لله رب العالمين

بلغ قراءة

[illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة «س»

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الاولى من نسخة «ر»

الصفحة الأخيرة من نسخة «ر»

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه المتجلّي بالبطون فظهر، والمتجلّي بالظهور فبطن واستتر، بادئ بدو سلسلة الوجود، وخاتم ختم الغيب والشهود، والصلاة والسلام على السرّ المرموز المُستتر، أصل أُصول ماسلف وغَبر، مبدأ الدائرة ومختمها، أفضل البريّة وأكرمها، وعلى آله مفاتيح كنوز الأحديّة، وكواشف رموز السرمديّة، وعلى أعدائهم اللّعنة الأزليّة الأبديّة.

وبعد: فإنّ ممّا وفّقني التأييدات الربوبيّة، وأيّدني التوفيقات القدسيّة الألوهيّة، هو الاستسعاد بزيارة هذا الحديث القدّيس، النازل عن سماء الوحي والتقديس، وشرحه الذي أفاده شيخ العرفاء الكاملين، قدوة أصحاب القلوب والسالكين، كاشف إشارات الأخبار ورموزها، مُخرج لباب الآثار وكنوزها، فخر الطائفة وعينها، وذخر أهل المعرفة وزينها، المؤيّد بتأييدات الرّبّ المجيد، القاضي الشريف السعيد، أفاض اللّه عليه من أنوار رحمته الواسعة، وتجلّى عليه بالأنوار الباهرة، واتّفق ذلك في العشر الثالثة من مراحل عمري ومنازل دهري.

وهو أوّل كتاب منه ـ قدّس سرّه ـ وفّقني اللّه لزيارته والاستفادة من حضرته، ولمّا رأيته مُحتاجاً إلى كشف بعض أسراره، ورفع الحجاب عن بعض أستاره، أحببت أن أُعلّق عليه بعض التعاليق، شارحاً لكلامه مع بعض ماسنح بخاطري القاصر، ونظري

الحمد للّه الواحد[1] المُتوحّد، والفرد المُتفرّد، الّذي توحّد بالتوحيد في

الفاتر في شرح الحديث الشريف، مُعترفاً بالتقصير والقصور، ومُتوكّلاً على ربّ الأنام في المبدأ والختام، فنقول مُستعيناً بالرّب المُعين، ومُتمسّكاً بولاية أوليائه المعصومين:

قوله: الواحد المتوحّد.

أمّا كونه جلّ بُرهانه واحداً فظاهر، وأمّا كونه مُتوحّداً فلظهوره في ملابس الكثرات، وتجلّيه في مرائي التعيّنات، فهو تعالى مع ظهوره في الكثرات لايخرج عن الوحدة الحقّة الحقيقيّة، فمن حيث كونه واحداً مُتوحد، ومن وجه كونه مُتوحّداً واحد، والكثرات غير موجودة حقيقةً، والتعيّنات في الغيب أزلاً وأبداً، وسيأتي بعض التحقيق إن شاء اللّه في المواضع اللائقة به.

قوله قدس سرّه: توحّد بالتوحيد.

كونه تعالى مجده مُتوحّداً بالتوحيد ومُتفرّداً بالتفريد؛ فلأنّ الإمكان من شأنه الكثرة، والمُمكن من ذاته الغيريّة، والوحدة عارضة لها من الصقع الربوبي، فالمُمكنات بحالها الذاتيّة مُتكثّر، وبحالها الوجوديّة واحد، إلاّ أنّ الوحدة من عالم الوجود، فكلّ الوحدات من حضرته، فهو مُتفرّد بالتفريد ومُتوحّد بالتوحيد، وممّا ذكرنا ظهر قوله «انبجست منه الكثرات بجملتها لوحدته» الذي هو مأخوذ من كلام المُعلّم الأوّل في أُثولوجيا[2] فإنّ الوحدة مرجعها الوجوب والغنى والقيوميّة، والكثرة مرجعها الإمكان والفقر والتقوّم، فكلّ الكثرات تبدأ من حضرة الوحدة وترجع إليه **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾**[3] فالوحدة علّة انبجاس الكثرات، والفرديّة مصدر التعيّنات، كما إنّهما علّة الرجوع.

---

١ ـ في نسخة «م»: العالم بدل: الواحد.

٢ ـ أُثولوجيا إفلوطين: ١٣٤.

٣ ـ الأعراف: ٢٩.

توحّده، وتفرّد بالتفريد[١] في تفرّده، انبجست[٢] منه الكثرات بجملتها لوحدته، وابتدأت منه الموجودات[٣] برمّتها[٤] لفرديته، سبحانه وتعالى في كبرياء تقدّسه، والصلاة على نبيّ الرحمة، ومجمع بحري الوحدة والكثرة إنسان العين، وعين الإنسان، والعالم بالبيان، محمّد المبعوث على الإنس والجانّ[٥] والمنعوت بنعوت الفرقان، والموصوف بأنّ خلقه القرآن[٦] وعلى وصيّه الّذي تشعّب منه أولاد النّبيّ، وتأحّد معه في سَيره الأنواري بالنصّ الجليّ[٧] وعلى آله الّذين هم تقاسيم وجود النّبيّ والوليّ، وهُم أولياء الرحمن، والمقصود من إيجاد الأكوان[٨] ماجرى الجاري على الجامدات، وفضل الزائد على الناقصات.

أمّا بعد: فالفقير إلى الله الغنيّ، والمُتمسّك بحبل النبيّ الأُمّي، مُحمّد المُشتهر بسعيد الشريف القُمّي يقول: إنَّ الحكمة كلّ الحكمة، ماورد في الكتاب والسُنّة، والعلم حقّ العلم ماصدر عن مدينة العلم[٩] وإنَّ في أخبار الأئمّة الطاهرين لبلاغاً لقوم عابدين، إنَّ في ذلك لذكرى للعالمين، كيف لا؟

---

١ ـ في نسخة «ر»: بالتقديس بدل: بالتفريد.

٢ ـ إنبجست: انفجرت، وانبجس الماء وتبجس أي تفجَّر. لسان العرب ١:٣١٨ بجس.

٣ ـ في نسخة «م» و «ر»: المزدوجات بدل: الموجودات.

٤ ـ برمتها: بجملتها أو كلها، يقال أخذت الشيء برمّته أي كله. لسان العرب ٥:٣٢٣ رمم.

٥ ـ انظر الاحتجاج للطبرسي ١:٥٢٧ و ٥٢٨، تفسير كنز الدقائق ٩:٤٦٩، مفاتيح الجنان:٥٩٦ زيارة إبراهيم ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٦ ـ أُنظر مسند أحمد بن حنبل ٦:٩١ و ١٦٣، شعب الإيمان ٢:١٥٣/١٤٢٥ و ١٤٢٧.

٧ ـ أُنظر بحارالأنوار ٩٩:١٣٠/١ و ٢٥:٣/٥، أُصول الكافي ١:٣٦٥/٣، تفسير علي بن إبراهيم القمي ٢:٣٣٥، علم اليقين ١:٥١٥.

٨ ـ نهج البلاغة: كتاب ٢٨ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية، علم اليقين ١:٣٨١، جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٩ و ١٠، كلمات مكنونة للفيض الكاشاني: ١٢٦، مفاتيح الغيب: ١٤.

٩ ـ اقتباس من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) أُنظر على سبيل المثال مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ٤٢٦ و ٤٢٧/٢، بحارالأنوار ٣٣:٥٣/٣٩٥.

وهم عليهم السلام أهل بيت الحكمة، ومعدن الوحي والرسالة[١] **(فالكليم ألبس حلّة الاصطفاء لمّا شاهدوا منه الوفاء،وجبرئيل في جنان الصاغورة[٢] ذاق من حدائقهم الباكورة)**[٣] وأنّى يكون لغيرهم، وفيهم الإمام المُبين، وقال عزّ من قائل: **﴿وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾**[٤].

ثمّ إنّ في الخبر الذي رواه أصحابنا، ودار في ألسنة إخواننا رضوان اللّه عليهم، وأثبتوه في دفاترهم، من سؤال رأس الجالوت مولانا أباالحسن الرضا عليه السلام، وما أجابه الإمام عليه السلام لحكمةٍ بالغةٍ لاتبلغها أيدي الخائضين في الحكمة المُتعالية، فضلاً عن الفلسفة الرسميّة، وأسرار رائقة لايكاد ينالها إلاّ من أتى البيوت من أبوابها؛ وأنوار بارقة لايستنير بأشعّتها الشارقة إلاّ من اقتبَس من مشكاة الولاية الفائقة.

وإنّي بعد ما نصفت السبعين، وكنت في عشر الأربعين، اطّلعت على هذه الرواية، واستسعدت بتلك الزيارة، فوجدتها عذراء لم يطمثها قبل ذلك الأوان إنس ولاجانّ، بل لم يخطبها الفحول ولاالفتيان، وكيف لهم من ذلك، وإنّها لمن أهل بيت النبوّة، ولم يكافئها أحدٌ من الأُمّة، اللّهم إلاّ من آجر نفسه ثماني حِجَج من اثنتي عشر من الحجج، وتقلّد بالتابعيّة المحضة، وفاز بالمحبوبيّة الكاملة، حتّى يكون اللّه سبحانه سمعه وبصره وعقله، فيسمع بسمعه، ويَبصُر ببصره، ويعقل بعقله[٥] إذ لايحمل عطاياهم إلاّ

---

١ ـ أُنظر أُصول الكافي ١: ١٧٢/١ ـ ٣.

٢ ـ المراد بالصاغورة السماء السابعة [منه قدّس سرّه]. في نسخة «ل» و «م»: الصاقورة بدل: الصاغورة، والصاقورة: السماء الدنيا كما في كتاب العين، والسماء الثالثة كما في القاموس.

٣ ـ بحارالأنوار ٢٦: ٢٦٥ و ٢٧٥/ ٣٧٨ وفيه وروح القدس بدل: جبرئيل.

الحديقة: البستان، والباكورة من البكر منه [قدس سره].

٤ ـ يس: ١٢.

٥ ـ اقتباس من الروايات التي وردت بهذا المضمون، أُنظر أُصول الكافي ٢: ٢٦٢ و ٢٦٣/ ٧ و ٨.

مطاياهم، ولا يعلم ما في الدار إلاّ محارم الأسرار.

وهذا المسكين وإن كان قليل البضاعة في هذه التجارة، ولم يسعد لتلك الإجارة، إلاّ أنَّ الكريم لاينظر إلى البضاعة ونِفاقها[١] ويبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، فَلَقد أتى عليّ حين من الدهر لم أكن متفحّصاً لآثارهم، خادماً لأخبارهم، راصداً لأسرارهم، سائراً في أنوارهم، حتّى أتاني في مبشرة نوميّة أمر من جنابهم بالنظر في خطابهم، فقُمت بمأمورهم، حتّى فتح اللَّه بصيرتي بسرورهم،وشرح صدري بنورهم، وزاد في يقيني بأُمورهم، ولعمر الحبيب إنَّ أمرهم صعبٌ مُستصعبٌ، لايحتمله إلاّ نبيٌّ مُرسلٌ، أو ملك مُقرّب، أو مؤمن مُمتَحَنٌ قلبه للإيمان عند الربّ[٢].

فمن تلك الفتوحات ما أُلهمتُ من شرح هذا الحديث العويص شرحاً لايحيف عن الحقّ ولايحيص[٣] وليس ذلك إلاّ من اقتباس نورهم، بل هو جذوة[٤] من قبسات طورهم، وما أقول إلاّ ما أُلقي في الرّوع، ومن اللّه المعونة في البدء والرجوع، وهو حسبي ونعم الوكيل، وعلى اللّه قصد السبيل و لِنُسمٍّ تلك المقالة بـ «الفوائد الرضوية» ونُرتّبها على مقدّمة وثلاث فوائد وخاتمة، مُستعيناً باللّه في الأُولى والآخرة.

---

١ ـ نَفاق: راج، ونِفاق نفذ وفنى أوقلّ. القاموس المحيط: ١١٩٥ نفق.

٢ ـ اُنظر اُصول الكافي ١: ٣٣٠ كتاب الحجة باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، بصائر الدرجات: ٢٤/١٦ في معنى الصعب والمستصعب.

٣ ـ حاص عن الحق يحيص: عدل عنه. المصباح المنير: ١٥٩ حاص.

٤ ـ الجذوة: هي القبسة من النار. لسان العرب ٢: ٢٢٦ جذا.

ذكر الخبر
وتوضيح ألفاظه

روى أصحابنا رضوان اللّه عليهم: أنّه سأل رأس الجالوت الرضا عليه التحية والثناء بأن قال: يا مولاي، ما الكفر والإيمان، وما الكفران، وما الجنّة والنيران، وما الشيطانان اللذان كلاهما المرجوان، وقد نطق كلام الرحمن بما قلت، حيث قال في سورة الرحمن: **﴿خَلَقَ الإنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيان﴾**[1].

فلمّا سمع الرضا عليه السلام كلامه لم يُحرِ جواباً، ونكت بأصبعه الأرض، وأطرق مليّاً، فلمّا رأى رأس الجالوت سكوته عليه السلام حمله على عيّه[2] وشجّعته نفسه لسؤال آخر.

فقال: يا رئيس المُسلمين، ما الواحد المُتكثّر، والمُتكثّر المُتوحّد، والموجَد الموجِد، والجاري المُنجمد، والناقص الزائد؟

فلمّا سمع الرضا عليه السلام كلامه، ورأى تسويل نفسه له، قال: **(أيش تقول يابن أبيه، وممن تقول، ولمن تقول؟! بينا أنت أنت صرنا نحن نحن، فهذا جوابٌ موجزٌ.**

وأمّا الجواب المُفصّل فأقول: إعلم إن كنت الداري والحمد للّه الباري: أنَّ الكفر كفران، كفرٌ باللّه وكفرٌ بالشيطان، وهما السيّان المقبولان المردودان، أحدهما الجنّة وللآخر النيران،

---

١ ـ الرحمن: ٣ و ٤.

٢ ـ العيّ: العجز. لسان العرب ٩: ٥١٠ و ٥١١ عيا.

وهما اللّذان المُتفقان المختلفان، وهما المرجوّان، ونصّ به الرحمن حيث قال: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۔ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ ۔ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] ويعلم قولنا من كان من سنخ الإنسان، وبما قلنا ظهر جواب باقي[2] سؤالاتك والحمد للّه الرحمن، والصلاة على رسوله المبعوث إلى الإنس والجان، ولعنة اللّه على الشيطان).

فلمّا سمع رأس الجالوت كلامه عليه السلام بهت وتحيّر وشهق شهقة، وقال: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنَّ مُحمّداً رسول اللّه، وأنَّك وليّ اللّه، ووصيّ رسوله، ومعدن علمه حقّاً حقّاً.

بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان

رأس الجالوت: هو أكبر عُلماء اليهود، وقيل قاضيهم[3].

ما الكفر والإيمان: الكفر لغةً هو الستر والإخفاء، ومنه سُمّي الزارع والليل ومن لبس ثوباً فوق دِرعه كافراً[4].

والكافر اصطلاحاً: هو الذي لم يعتقد بوجود البارئ تعالى، أو بأحَد صفاته الحسنى، أو بواحدٍ من أنبيائه[5] سمّي بذلك لأنّه إذا لم يعتقد ذلك فكأنّه أخفاه عن عالم الوجود بزعمه، وستره عن مرتبة الشهود باعتقاده.

والإيمان لغة: هو التصديق[6] وفي الشرع هو الاعتقاد بوجود البارئ جلّ مجده، وبصفاته العليا كما يليق به تعالى، ووجود ملائكته المُدبّرة، وكتبه

---

١ ـ الرحمن: ١٩ ـ ٢١.

٢ ـ في نسخة «م»: ما في بدل: باقي.

٣ ـ في نسخة «ل»: فاضلهم بدل: قاضيهم.

٤ ـ الصحاح ٢: ٨٠٧ و ٨٠٨.

٥ ـ المفردات في غريب القرآن: ٤٣٣ و ٤٣٤، التبيان ١: ٦٠، مجمع البيان ١: ١٢٨، تفسير الفخر الرازي ١: ٣٨.

٦ ـ الصحاح ٥: ٢٠٧١.

المُنزلة،ورسله المُرسلة، وبما جاؤوا به من عنده، وعدم التفريق بينهم[1] وسيجيء تحقيق الكفر وحقيقة الإيمان إن شاء اللّه الرحمن.

وما الكفران: هما الكفر باللّه والكفر بالشيطان، كما سيأتي هذا التفصيل في كلام إمام الإنس والجانّ عليه السلام.

وما الشيطانان: الشيطان إمّا من شاط إذا بطل، أو من شطن إذا بَعد[2].

وبالجملة: الشيطان هنا هوماسوى اللّه تعالى[3] أمّا على المعنى الأوّل: فلأنّ جميع ما سوى اللّه باطل هالك، وأمّا على المعنى الثاني: فلأنّ ما عداه باعتبار كونه سواه بعيد عنه جلّ وعلا، ومن ذلك سُمّي كلّ عاتٍ مُتمرّدٍ من الإنس والجنّ والدوابّ شيطاناً[4].

﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾: أي الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه، والبشر النوري الذي هو أبو البشر بالحقيقة، وإن كان من أبناء آدم أبي البشر بحسب

قوله قدّس سرّه: هو أبوالبشر بالحقيقة... إلى آخره.

اعلم وفقك اللّه لمرضاته، ونوّر قلبك بتجلّيات أسمائه وصفاته، أنّ للأسماء الحسنى الإلهيّة مُحيطيّة ومُحاطيّة، ومشموليّة وشامليّة، فمنها ما له السلطنة المُطلقة، والمُحيطيّة التامّة على جميع الأسماء، كاسم اللّه المُستجنّ فيه الأسماء استجنان الفروع في الأُصول، والأشجار في النواة، ومنها ماهو دون ذلك، لكن له الإحاطة أيضاً على سائر الأسماء كالظاهر والباطن والأوّل والآخر.

لست أقول: إنّ بعض الأسماء الربوبيّة فاقد لبعض الكمالات كما زعمه

---

١ ـ أُنظر مجمع البيان ١: ١٢٠، تفسير الفخر الرازي ٧: ١٣٩ و ١٤٠.

٢ ـ الصحاح ٥: ٢١٤٤، لسان العرب ٧: ١٢٠ و ١٢١، مجمع البحرين ٦: ٢٧٢ شطن.

٣ ـ في نسخة «ر» إضافة: سواء على القول بالظهور والبطون.

٤ ـ أُنظر الصحاح ٥: ٢١٤٤، لسان العرب ٧: ١٢١ شطن.

العادلون عن الطريق[1] كيف؟! وكلّها عين الذات الأحديّة[2] جلّ برهانه، بل مُرادنا بطون بعض التجلّيات والكمالات في بعضها وظهور البعض في بعضٍ آخر، فالرحمن ظاهر فيه الرحمة باطن فيه السخط والغضب، والمُنتقم ظاهر فيه الانتقام والسخط باطن فيه الرحمة والغُفران، كما أنّ المُراد بصفات الجمال ماكان الجمال فيه ظاهراً والجلال في حدّ البطون، والجلال بالعكس، وإلاّ فجميع الأسماء والصفات مُستجنّ فيها جميع الكمالات الوجوديّة، بل باعتبار استهلاك الكلّ في الذات الأحديّة، وفنائها في الجمال السرمدي، وارتباطها بالوجود المُطلق لافتراق بينهما.

وبالجملة: لبعض الأسماء الحيطة التامّة والسلطنة الحقّة على سائرها، وبعضها لم تكن بتلك المثابة، ولازم كلّ اسم في الحضرة الأعيان الثابتة يُناسب ربّه وملزومه **﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾**[3].

از كوزه همان برون تراود كه در اوست[4]

فاسم الله المُحيط الحاكم على سائر الأسماء أوّل ظهور الكثرة في عالم الأسماء وحضرة الواحديّة، وبتوسطه ظهرت الأسماء، بل سائر الأسماء من مظاهره وتجلياته، وهو الظاهر في مراحل الظهور، والباطن في مراتب البطون، وصورته ـ التي هي عين الثابت للإنسان الكامل ـ هي أوّل صورة ظهرت في الحضرة العلميّة ظهور ثبوت لاوجود، وبتوسّطها سائر الصور، بل صور سائر الأسماء من مظاهرها وتجلّياتها.

١ ـ شرح المقاصد ٤: ٧٠، التوحيد للصدوق: ١٤٤/٩.

٢ ـ التوحيد للصدوق: ١٤٤ و١٤٥/ ٩ ـ ١٠.

٣ ـ الإسراء: ٨٤.

٤ ـ گر دايره كوزه زگوهر سازند   از كوزه همان برون تراود كه در اوست

أمثال وحكم دهخدا ١: ١٤٢ نسبه إلى بابا أفضل الكاشاني.

وبذاك القياس أوّل نور فلق صبح الوجود، وشقّ بحر الكون والشهود هو الإنسان الكامل خليفة اللّه واسمه الأعظم ومشيّته ونوره الأقدم الأكرم، وبتوسّطه سائر مراتب الوجود من الغيب والشهود ومنازل النزول والصعود، بل سائر الوجودات ظهورات نوره ومظاهر حقيقته، حسب ماقلنا في الأسماء والأعيان من كونهما ظهور ربّ الإنسان الكامل وعينه الثابت، فالإنسان الكامل والكون الجامع هو الاسم الأعظم ظلّ اسم اللّه الأعظم، وله الأوليّة والآخريّة والظاهريّة والباطنيّة، وهو المشيّة التي خلقها اللّه بنفسها وخلق الأشياء بها كما في رواية الكافي[١].

ولاأكمل في النوع الإنساني من نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله كما هو شهود أئمّة الكشف والمعرفة[٢] والمنقول عن معدن الحكمة والرسالة، والمُستفاد من كلام اللّه المُعين لأصحاب القلوب والراسخين:

فمن كتاب اللّه قوله تعالى حكاية عن معراجه: **﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾**[٣] فالتدلّي هو حقيقة الفقر المُشار إليه بقوله صلّى اللّه عليه وآله: **(الفقر فخري)**[٤] وهو مقام البرزخيّة الكبرى، والهيولويّة المُطلقة، ومقام أو أدنى استهلاكه في الأحديّة وزوال حكم الواحديّة.

ومن كلمات أرباب الوحي والنبوّة مافي الزيارة الجامعة، كقوله: **(بكم فتح اللّه وبكم يختم)**[٥]، وقوله: **(أرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس)**[٦]، وقوله: **(أنتم السبب**

---

١ ـ أُصول الكافي ١: ٤/٨٥، التوحيد للصدوق: ١٩/١٤٧.

٢ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ١٠.

٣ ـ النجم: ٨ و٩.

٤ ـ بحار الأنوار ٦٩: ٤٩، عوالي اللآلي ١: ٣٨/٣٩.

٥ و ٦ ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٧٤ الزيارة الجامعة.

الصورة، والعقل الذي هو النّور المُحمّدي صلّى اللّه عليه وآله، وقد دلّ على ذلك: النقل الصحيح[١] والكشف الصّريح، بل العقل البرهاني المُؤيّد بالنور السبحاني.

وفي رواية: **(الإنسان هو أمير المؤمنين عليه السلام، علّمه بيان كلّ شيء مما يحتاج إليه الناس)**[٢] والمآل واحد؛ لأنّ نورهما واحد، بل هما واحد[٣].

﴿علّمه البيان﴾: عدم الفصل بالعاطف لأنّه بيانٌ للخلق؛ أي خلقه بمحض تعقّله نفسه، عزّ شأنه، بأن جعله مظهر معقولاته، ومُستودع علمه، ومعدن

المُتّصل بين السماء والأرض)[٤] إلى غير ذلك من الفقرات والأخبار[٥] المنقولة من طريقهم عليهم السلام في حدّ الاستفاضة بل التواتر، فإذا علمت ماذكرنا وآمنت بما تلونا يظهر لك سرّ كونه صلّى اللّه عليه و آله أبا البشر وآدم الحقيقي[٦] فتبصّر.

قوله قدّس سرّه: أي خلقه بمحض تعقّله... إلى آخره.

ولّما كان الإنسان مظهر الذات باعتبار مقام الأُلوهيّة المُستجمعة لجميع الكمالات الظاهرة والباطنة، وكلّ الكمالات مُستجنّة في ذات ربّه استجنان الفروع في الأُصول والكثرات في العقل الفعّال بنحو البساطة والجمعيّة، الخالصة عن شوب الكثرة والتركيب، المُقدّسة عن وصمة الكثرات والحيثيّات والاعتبارات، كان مربوبه ـ الذي ظهر عن هذا المقام الجمعي ـ مُستودعاً فيه الجمال والجلال، والظهور والبطون، والأوليّة والآخريّة، بل كلّ الأشياء بنحو الوحدة والبساطة والاندماج والإجمال، فكان خلقه عين استيداع الكمالات الوجوديّة من السلسلة النزوليّة

---

١ ـ أُصول الكافي ١:٣٦٧/١٠، مجمع البيان ٩:٢٩٩، علم اليقين ١:١٥٤ و ١٥٥.

٢ ـ تفسير علي بن إبراهيم ٢:٣٤٣، بحار الأنوار ٥٧:٣٨٣، تفسير البرهان ٤:٢٦٣/٢، تأويل الآيات الظاهرة للاسترابادي ٢:٦٣٠.

٣ ـ أُنظر أُصول الكافي ١:٣٦٥/٣، عوالي اللآلي ٤:١٢٤/٢١١.

٤ ـ بحار الأنوار ٩٩:١٠٧ دعاء الندبة مع اختلاف.

٥ ـ أُصول الكافي ١:١٥٢/ ١ ـ ٣.

٦ ـ أُنظر بحار الأنوار ٢٦: ٣٣٥/ ١و١٣ و١٦ و١٨.

بياناته الّتي هي الجواهر العقليّة، والأنوار الإلهيّة التي صارت في تلك المرتبة المظهريّة أسماء إلهية جماليّة وجلاليّة[1] وبالحقيقة جعله نفس ذلك العلم والبيان كما يراه أهل العرفان.

ويؤيّد ما قلنا في معنى البيان ما ورد في الخبر أنّ: «**البيان هو الاسم الأعظم الذي علم به كلّ شيء**»[2].

ثمَّ استشهاد السائل بالآية الكريمة يحتمل وجهين:

الاحتمال الأوّل: أنّه سبحانه خَلَقَ هذا الإنسان بأن علّمه بيان كلّ شيء، بل هو ـ أي ذلك الإنسان ـ بيان كلّ شيء، فيجب أن يجيب عن هذه

والصعوديّة فيه، فإنّ...[3].

قوله قدّس سرّه: ثمّ استشهاد السائل... إلى آخره.

ماذكره هذا العارف الجليل ـ قدّس سرّه ـ من الوجهين كلام تمام وتحقيق تامّ في موضعه، لكنّهما مُخالفان لظاهر كلام رأس الجالوت، فإنّ ظاهر قوله: «وقد نطق كلام الرحمن بما قلت» أنّ مانطق به هو الحقائق المسؤول عنها، لأنّ سؤاله منه عليه السلام كان مذكوراً فيه كما لايخفى عند التأمّل.

والذي يؤدّي إليه النظر القاصر ويخطر بالبال الفاتر أنّ استشهاده يستصحّ من وجهين:

الأوّل: أنّ الإنسان الكامل صورة مجموع العوالم بوحدته الجمعيّة وبساطته الذاتيّة، كما أنّ العوالم الوجوديّة صورة تفصيليّة من الإنسان الكامل، فإذا كان الإنسان مظهراً لاسم الرحمن الذي هو لبسط حقيقة الوجود وسلسلتي النزول

---

١ ـ في نسخة «ر»: هي عبارة عن أسمائه الجمالية والجلالية ومظاهرهما الكونية بدل: صارت في تلك... وجلالية.

٢ ـ مجمع البيان ٩:٢٩٩، تفسير البرهان ٤:٢٦٣/١، تفسير نورالثقلين ٥:١٨٨/٨.

٣ ـ كذا بياض في الأصول كلّها.

الأسئلة مَن هو مِنْ سنخ ذلك الإنسان، ويدّعي أنّه وصيّه والخليفة من بعده، والحافظ لعلومه وأسراره؛ ولهذا لمّا أجاب الإمام عليه السلام بما أجاب قال: ويعلم قولنا من كان مِنْ سنخ الإنسان، أي كما أنَّ المُجيب يجب أن يكون

والصعود، كما قيل: ظهر الوجود بسم اللّه الرحمن الرحيم[١]، فالرحمة الرحمانيّة لبسط حقيقة الوجود بشراشره، والرحمة الرحيميّة لبسط كمال الوجود[٢] فإذا كان مربوب اسم الرحمن الجامع لجميع المراتب والواجد لتمام الحقائق الذاتيّة والعرضيّة هو الإنسان الكامل، والإنسان صورة مجموع العوالم، كانت الحقائق المسؤول عنها مُحقّقة في الإنسان بنحو البساطة والوحدة، وفي العوالم بنحو البسط والكثرة، فما حقيقة هذه الحقائق المُتحقّقة؟ فإنّ ماهو الحقيقة مُتأخّرة عن «هل» البسيطة، فما لاوجود له لاحقيقة له، فإذا كان لهذه الحقائق وجود فما حقيقتها؟

الثاني: من قوله: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٣] فإنّ المُراد بالتعليم ـ حسبما عرفت سابقاً ـ هو الاستيداع في الخميرة والاستجنان في الطينة كما أنّ المُراد بالبيان ـ حسبما قلنا في الحواشي السالفة ـ هو مُسمّيات الأسماء التي علّمها اللّه تعالى أبينا آدم عليه السلام[٤] فالإنسان الكامل المُودع فيه حقائق الأسماء ومُقتضياتها من اللّطف والقهر، والرحمة والغضب، والهداية والإضلال، والظهور والبطون، مُتحقّق فيه هذه الحقائق بطريق اللّف والبساطة، وحيث كان العالم صورة تفصيليّة للإنسان الكامل، ولابدّ من ظهور دول الأسماء الإلهيّة بطريق الوحدة والكثرة، كانت هذه الحقائق المسؤول عنها من الموجودات والمُتحقّقات، فما حقائقها؟

هذا ماسنح بالبال والعلم عند الرّب المُتعال.

---

١ ـ الفتوحات المكيّة ١:١٠٢.

٢ ـ اُنظر التوحيد للصدوق: ٢/٢٣٠ و٣ و٥.

٣ ـ الرحمن: ٤.

٤ ـ إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة، آية: ٣١.

من سنخ هذا الإنسان باعتبار النوريّة والبضعيّة ومن حيث التأحّد في المراتب النزوليّة والصعوديّة، كذلك الّذي يفهم هذا الجواب يجب أن يكون من سنخه ومن شيعته باعتبار التابعيّة.

والاحتمال الثاني: هو أنّ الّذي طلبته من حقيقة الكفر والإيمان،وتحقيق الجنّة والنيران، وما الشيطانان، إنّما هو كلّه في الإنسان، لاينفلت منه شيء، وهو مظهر تلك الأشياء، وبه تتحقّق هذه الأسماء؛ لأنّ اللّه خلقه بأن جعله الكتاب المبين، وقد قال جلّ من قائل: ﴿**وَلاَرَطْبٍ وَلاَيَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[١] فيجب أن يجيب على هذه الحقائق من يترقى إلى هذه الرقائق[٢].

ويؤيّد ما احتملنا ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الصّورة الإنسانيّة أكبر حُجّة اللّه على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المُختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهد علي كلّ غائب، وهي الحُجّة على كلّ جاحد، وهي الطريق المُستقيم إلى كلّ خير، وهي الصراط الممدود بين الجنّة والنار**»[٣]. صدق ولي اللّه.

لم يُحرِ جواباً: أي لم يردّ جواباً، يقال: كلّمته فما أحار جواباً أي ما ردّه[٤].

نكت بأصبعه الأرض: أي ضرب به الأرض، كما يفعله المُتفكّر في شيءٍ المُتردّد فيه[٥].

أطرق مليّاً: بتشديد الياء من غير همز أي سكت طائفة من الزمان[٦] والمُراد هنا بعض الزمان، وإن كان أكثر مايُستعمل في الزمان الطويل[٧]

---

١ ـ الأنعام: ٥٩.

٢ ـ في نسخة «ل»: الدقائق بدل: الرقائق.

٣ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٣٨٣، كلمات مكنونة للفيض الكاشاني:١٢٥.

٤ ـ اُنظر الصحاح ٢:٦٤٠ حور.

٥ ـ الصحاح ١:٢٦٩، النهاية لابن الأثير ٥:١١٣ نكت.

٦و٧ ـ الصحاح ٤: ١٥١٥ طرق و ٦:٢٤٩٧ ملا.

ويمكن أن يكون الطول باعتبار زمان التخاطب وبحسب ما يُتعارف الفصل بين السؤال والجواب، فإذا تجاوز من ذلك الحدّ عُدّ طويلاً.

قال في «الكشّاف» في قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1]: أي زماناً طويلاً من الملاوة مُثلّثة، وهي الحين والمدّة من الزمان[2].

وقال «المطرزي» في «المغرب»: المليّ الساعة الطويلة، عن «الجوزي»[3] وعن «أبي علي» هو المُتّسع، يقال: انتظرته ملياً من الدهر أي مُتّسعاً منه، قال: وهو صفة استعملت استعمال الأسماء، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي دهراً طويلاً. والتركيب دالّ على السعة والطول، منه الملاء للمُتسع من الأرض[4].

حمله على عيّه: العِيّ ـ بالكسر ـ خلاف البيان[5].

ماالواحد المُتكثّر: تقديم الواحد على المُتكثّر وإيراد الثاني بصيغة التفعل دون الأوّل،يدلّ على أنَّ وحدة هذا الموجود بالذات والكثرة بالاعتبار والجهات.

وما المُتكثّر المُتوحّد: عكس الترتيب هنا للدلالة على العكس، وإيراد الصيغتين على التفعلّ للدلالة على أنّ كلاً من الصيغتين باعتبار أمر آخر[6] إمّا أعلى منه أو أسفل، أو للإشارة إلى أنَّ أصله الوحدة، إلاّ أنّه يتكثّر بالعرض ثمّ يتوحّد ويرجع إلى أصله، كما ستطّلع عليه إن شاء اللّه.

الموجَد الموجِد: الأول بصيغة المفعول والثاني على الفاعل لرعاية السجع،

---

١ ـ مريم: ٤٦.

٢ ـ الكشاف ٣: ٢٠.

٣ ـ في المصدر: الغوري بدل: الجوزي.

٤ ـ المغرب في ترتيب المعرب: ٣٤٣.

٥ ـ الصحاح ٦: ٢٦٦٢عيى.

٦ ـ في نسخة «ر» إضافة: خارج عن الذات.

ولأنَّ المُمكن ما لم يوجَد لم يوجِد[1].

الجاري المُنجمد: أي المتحرك الثابت الذات كما في المُتقضّيات[2] أو المُتحرّك في الواقع بحسب الدرجات الثابت في الحس والخيالات كما في الراكدات، قال اللّه جلّ مجده: ﴿وَتَرى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾[3].

الناقص الزائد: أي الّذي يقبل الزيادة والنقيصة.

لمّا رأى تسويل نفسه: أي تزيين نفسه له[4] بحمله هذا السكوت على العيّ والعجز منه عليه السلام، حتّى اجترأ على سؤال آخر قبل أن يستسعد بجواب الأوّل.

أيش تقول: هو مُخفّف أي شيء تقول، ويحتمل سكون الشين وتنوينها بالكسر.

يابن أبيه: تعريض بحقارته؛ لأنَّ المرء إذا لم يستقلّ بنفسه ولم يُعرف من حيث شأنه يُنسب إلى أبيه، ويمكن أن يكون تعريضاً بجهالته، وأكثر مايُستعمل في مجهول النسب.

مّمن تقول: كلمة «من» الجارّة للابتداء؛ أي هذا القول ليس منك ولا من شأنك، وإنّما هو من غيرك، بأن يكون قد أُخذ من كتب الأنبياء أو وجد في كلام الأوصياء والحكماء، أو ممّا قاله عن اللّه، كما نبّه عليه السلام في أوّل جوابه على التوحيد التامّ، واستهلاك الخاصّ والعامّ،فليس القائل والمُتكلّم بالحقيقة إلاّ ذوالجلال،فيكون على طريقة قوله تعالى: ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[5] فتحدّس.

---

١ ـ أُنظرشرح المواقف ٨: ١١، منظومة السبزواري ٢: ٦٢١.

٢ ـ في نسخة «م»: المقتضيات بدل: المتقضيات.

٣ ـ النمل: ٨٨.

٤ ـ أُنظر الصحاح ٥: ١٧٣٣ سول.

٥ ـ الأنفال: ١٧.

ولمن تقول: أي لايليق بك أن تسأل على سبيل الإفحام عن هذه الأسئلة مثلي الذي هو الغرض من إيجاد تلك الحقائق المسؤول عنها، بل بنوره استنارت تلك الأشياء[١] بل بصنعه تصوّرت هذه الرقائق بصورها،

قوله قدّس سرّه: بل بصنعه تصوّرت... إلى آخره.

فإنّ لهم عليهم السلام مقام إطلاق المشيّة[٢] ولسائر الخلق مقام تعيّناتها، والمُقيّدات تنزّلات المشيّة المُطلقة ومظاهرها، كما ورد من طريقهم عليهم السلام: **(خلق اللّه من نورنا العرش والكرسي والجنّة والنار والشمس والقمر)**[٣] وورد: **(بكم فتح اللّه وبكم يختم)**[٤] فمقام الولاية المُطلقة داخل فيه كلٌّ من شرب من كأس الوجود من عوالم الغيب والشهود شقياً وسعيداً، كما ورد عن النبي صلى اللّه عليه وآله: **(آدم ومن دونه تحت لوائي)**[٥] ومن دخل فيه سلوكاً أيضاً فهو من أهل السعادة؛ فإنّها الحصن الحصين الآمن من العذاب، وإن كان سلوك كلّ سالك ـ شقياً وسعيداً حقاً وباطلاً ـ إلى الولاية المُطلقة، ومن باب الولاية إلى اللّه تعالى: إمّا إلى الرحمن الرحيم إن كان من المؤمنين وأصحاب السعادة، أو إلى المُضلّ والمُنتقم إن كان من الظالمين وأهل الشقاوة، والكلّ إلى اسم اللّه الجامع **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾**[٦] و **﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾**[٧].

فمقام ولاية اللّه المُطلقة مظهر اسم اللّه الأعظم مفتح سلسلة الوجود ومختمها

---

١ ـ أُنظر بحارالأنوار ٩٩: ١٣٢، علم اليقين ١: ٣٨١، جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٩، مفاتيح الغيب: ١٤.

٢ ـ أُنظر بحار الأنوار ٢٦: ١٤/٢.

٣ ـ تفسير البرهان ١: ٣٩٢/ ٥، إرشاد القلوب للديلمي٢: ١٩٢، بحارالأنوار ٤٠: ٤٣ و٤٤/٨١، الأنوار النعمانية ١: ١٧ مع اختلاف.

٤ ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٧٤ الزيارة الجامعة.

٥ ـ مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢١٤، عوالي اللآلي ٤: ١٢١/١٩٨، مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٨١، كشف الخفاء ١: ١٦/١١.

٦ ـ الأعراف: ٢٩.

٧ ـ البقرة: ١٥٦.

وأوّلها وآخرها، فهي كنقطة سيّالة في مراحل الوجود منها البدو وإليها الرجوع، وقوله عليه السلام: **(نحن صنائع الله والخلق صنائع لنا)**[1] وإن كان يفيد الغاية لمكان اللّام، إلاّ أنّ الغاية والفاعل مُتّحدان، خصوصاً في الفواعل المُقدّسة عن كدورة المادّة ولواحقها، كما هو المُبيّن في محلّه والمُتحقّق عند أصحاب الحكمة المُتعالية[2] فإذا كان لهم عليهم السلام مقام المشيّة المطلقة[3] وسائر الناس تعيّناتها كانت لهم القيموميّة على الناس.

وبالجملة: لكلّ موجود وجهة نورانيّة من عالم القدس والطهارة، ووجهة ظُلمانيّة من عالم الظلمة والكدورة، فقوله عليه السلام: «ممن تقول» معناه أنّ جهة نفسيّتك المظلمة الكدرة هالكة باطلة، فإنّ كلّ شيءٍ باطل إلاّ وجهه، فلم يكن قابلاً للسؤال والجواب، ووجهتك الإلهيّة وظلك النوراني منّا ولنا وعنّا.

وهاهنا احتمال آخر: وهو أنّ قوله عليه السلام «أيش تقول» إشارة إلى أنّ هذه الحقائق بلادخولها في حصن ولايتنا لم تكن شيئاً مذكوراً، وما لاوجود له لاحقيقة له، فالسؤال عن حقائقها سؤال عن حقيقة مالاوجود له، وهو بلامورد، ومع الدخول فيه أيضاً سؤالك بلاوجه؛ فإنّه سؤال عن الحقائق الحاضرة لدينا والمتدلّية بنا والموجودة عندنا على سبيل الإفحام.

وقوله عليه السلام: «ممّن تقول» إشارة إلى أنّ الانتساب الّذي كنت أنت قارئه مع أنانيّتك ونفسيّتك وعدم تشبُّثك بذيل الولاية إلى الله لم يكن في مورده، فإنّه ليس كلّ ماجرى على اللسان وكانت صورته على صورة القرآن قرآناً، كما قال جلّ

١ ـ نهج البلاغة: كتاب ٢٨ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية.
٢ ـ الأسفار ٢: ٢٧٠.
٣ ـ بحار الأنوار ٢٦: ٢/١٤.

برهانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَاهُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَاهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[1] كما أنّه ليس كلّ من كتب الكتاب بأيديه كان كتاب اللّه، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[2] فإنّ الصورة والمعنى والظاهر والباطن والقشر واللّب قرينان لن يفترقا، كما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[3] فالولاية باطن الكتاب وروحه والكتاب ظهورها، والظهور لم يكن ظاهراً إلاّ أن يكون له البطون.

وقوله عليه السلام: «ولمن تقول» إشارة إلى عدم عرفانه مقام الإمام عليه السلام، ولايرى بعينه المرمدة وقلبه المنكوس إلى عالم الطبع إلاّ النشأة الظاهرة من الإمام عليه السلام كما رأى الشيطان بحقيقته الظلمانيّة ظاهر آدم عليه السلام فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[4] وقاس نفسه بظاهر آدم عليه السلام ولم يرَ روحانيّته، فصار قياسه مُغالطيّاً، كما ورد في أخبارنا المرويّة عن الأئمّة عليهم السلام[5].

وهاهنا احتمال آخر: وهو أنك مع بقائك على حالك، وعدم تسليم قلبك لإمام زمانك، حتّى تصير قابلاً لإفاضة الحقائق وتجلّي الأنوار، لايمكنك أن تعرف هذه الحقائق؛ فإنّ السالك لابدّ وأن يسلّم بيت قبله إلى صاحب البيت بتوسّط وليّ الوقت

---

١ ـ آل عمران: ٧٨.

٢ ـ البقرة: ٧٩.

٣ ـ أُصول الكافي ٢: ٣٠٤ و٣٠٥/١، صحيح مسلم ٥:٢٦/ ٣٦، مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٧، الصواعق المحرقة: ١٤٩، كنزالعمال ١:١٨٥/٩٤٣ ـ ٩٤٤.

٤ ـ سورة ص:٧٦.

٥ ـ أُنظر أُصول الكافي ١: ٤٧/ ١٨ و٢٠.

كما يُنادي بذلك قولهم عليهم السلام: (**نحن صنائع الله والخلق صنائع لنا**)[١].

ويخطر بالبال لهذه الأقوال الثلاثة معنىً آخر قويّ عندي، وهو أن يكون مراد الإمام عليه السلام من قوله: «أي شيء تقول وممن تقول ولمن تقول» أن السؤال والمسؤول والمسؤول عنه إنّما هي نشآت نوره ومعارج كمالاته، فبالحقيقة لاتغاير بينها، أو أنَّ هذه الحقائق هي اعتبارات نور الأنوار بحسب المقامات، ومرايا نور وجهه الكريم على سعة وضيق الدرجات، وإلاّ فأين الشيء وأين المسؤول والمسؤول عنه في نظر أرباب المشاهدات؟! كما قيل في النظم الفارسي:

هم خود اَلست گويد وهم خود بَلى كند.

بينا: اعلم أنّ «بينا» هي كلمة «بين» المشبعة[٢] جيء بها للمفاجآت، وكثيراً مايكون بعدها الجملة الاسميّة، لكن يجب أن يكون جوابها ممّا يتّفق وجوده في زمان تحقّق مدخولها، بل يتسبب عن الذي بعدها، سواء كان من

حتّى يتجلّى عليه بالأسماء المُناسبة ويعرف الحقائق من أسبابها وبطريق اللمّ.

فقوله عليه السلام: «ممّن تقول» أي من أيّة نفسٍ غير مُسلّمة للمولى وغير قابلة للعلم بالحقائق تقول، ولأيّ شخصٍ غير معروفٍ عندك وغير خازنٍ لبيت قلبك تقول، ومن أيّ شيءٍ تسأل مع عدم قابليّتك لفهم الحقائق وعرفانها، فتبصّر.

قوله قدّس سرّه: بل يتسبّب... إلى آخره.

مجيئها للمفاجأة حقّ، ولكن تسبّب مدخولها عن الذي بعدها غير معلوم بحسب موارد الاستعمال، وقد وجّهنا الرواية بما لايحتاج إلى هذا التكلّف، فراجع وتبصّر.

---

١ ـ نهج البلاغة: كتاب ٢٨ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية.

٢ ـ لسان العرب ١: ٥٦١ بين.

الأسباب الذاتية أو العرضيّة أو الاتفاقية، فقولك: «بينا زيد يضرب عمراً إذ مات عمرو» معناه أنّ الضرب صار سبباً لموت عمرو، إذ لو لم يضربه لم يمت.

وبالجملة: من المُستبين عند المَهَرة من أهل اللسان أنّ لجملة «بينا» دخلاً في الجملة الجوابيّة أيّ دخل كان، وهذا الّذي قلنا يعرفه من له مشرب تامّ في العلوم الأدبيّة، ومن ذلك فليتحدّس المُتفرّس سببيّة قوله: «كنت أنت أنت»، لقوله: «صرنا نحن نحن» وسيجيء زيادة كشف لذلك صريحاً إن شاء اللّه تعالى.

أنت أنت: الخطاب إمّا أن يتوجّه إلى اللّه صريحاً بأن يكون

قوله: أنت أنت... إلى آخره.

قد علمت راشداً فيما سبق، وأتاك من التحقيق بما استحقّ أنّ للإنسان الكامل والوليّ المُطلق مقام المشيّة المُطلقة التي بها ظهرت الموجودات وتحقّقت الحقائق وتذوّتت الذوات، فهو بمنزلة الأصل وسائر الخلق فروعه، وله الحيطة على مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود، فله أن يقول: «نحن» ويريد كافّة الموجودات من بادئ بداية الثابتات الأزليّة وخاتم ختام الزائلات الداثرة البالية، فإنّها القشر وهو لبّها، والصورة وهو معناها، والظاهر وهو باطنها، بل هو الصورة والمعنى والقشر واللّبّ والظاهر والباطن، فروح الوليّ روح الكلّ ونفسه نفس الكلّ وجسمه جسم الكلّ كما ورد: (**أرواحكم في الأرواح ونفوسكم في النفوس وأجسامكم في الأجسام**)[1].

وبعبارة أُخرى: من سلك سبيل الحقّ، وخرج عن الأنانيّة بقولٍ مُطلق، وفنى ذاتاً وصفةً وفعلاً وشأناً في الرّب المُتعال، وسلّم مملكة وجوده إلى القيّوم ذي الجلال، وأتى اللّه بقلبٍ سليمٍ، ووصل إلى مقام العبوديّة بالطريق المُستقيم، وتحقّق بحقيقة

---

١ ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٧٤ الزيارة الجامعة.

«لاموجود سوى اللّه، ولا هو إلاّ هو» ربّما شملته الرحمة الواسعة الإلهيّة والفيوضات الكاملة الربوبيّة، بإرجاعه إلى مملكته وإبقائه بعد فنائه، فيرجع حين يرجع رابحاً في تجارته غير خاسرٍ في مُعاملته، فإنّه تعالى أكرم المُتعاملين وأجود المُتبايعين، فأعطاه تعالى في مُقابل تسليم روحه الجزئيّة روح الكلّ، وفي مُقابل نفسه الجزئية نفس الكل وفي مُقابل جسمه الجزئي جسم الكلّ، فيصير عالم الوجود مملكة وجوده ومقرّ سلطنته ومسند أمارته.

فإذا علمت ماتلونا عليك فاعلم أنّ قوله: «بينا أنت أنت صرنا نحن نحن» على وزان قوله: «أيش تقول... إلى آخره» وأنّه عليه السلام أراد أن يُفهم السائل بطريقٍ آخر أنّ سؤاله في غير محلّه، وأنّ مراتب الوجود مشهوداته بل مُتدلّيات بذاته وهي قيّوم على كلّ نفس، وسلسلة الكائنات من الغائبات والشاهدات من أجزاء مملكته وتوابع سلطانه، فقال: «بينا أنت أنت» أي في حجاب التعين وسجن التقيّد «صرنا نحن نحن» أي خرجنا عن قيد التعيّن ووصلنا إلى المقام الإطلاقي، وهو مقام القيام على كلّ نفس والإحاطة لكلّ شيءٍ، فقوله: «أنت» إشارة إلى تعيّن السائل وضيق وجوده، و«نحن» إشارة إلى إحاطته عليه السلام وسعة وجوده، وقوله: «صرنا» إشارة إلى أنّ هذا المقام تحصيلي يحصل للسالكين بقوّة السلوك والفناء التامّ والتسليم التمام.

وأمّا وجه كونه هذا جواباً مُوجزاً فلما سيأتي ـ إن شاء اللّه تعالى ـ أنّ الواحد المُتكثّر هو المشيّة المُطلقة والفيض المُقدّس عند نظري القاصر، فعلى هذا يصير قوله عليه السلام ـ مع كونه ردعاً عن السؤال ـ جواباً مُوجزاً إجماليّاً عن حقيقة الواحد المُتكثّر، بل جواباً عن سائر الحقائق التي هي مراتب تنزّلات المشيّة، فإنّها ظهرت بها وتذوّتت بذاتها وتحقّقت بحقيقتها، والعلم بالظاهر علم بالمظاهر بوجه بسيط.

الإمام عليه السلام أعرض عن السائل من حيث إنَّه أساء الأدب بالنسبة إليه عليه السلام، ثمّ توجّه إلى اللّه وخاطبه بما هو جواب للسائل بأدقّ طريق وأكمل تحقيق، وإمّا أن يتوجّه إلى السائل لا من حيث نفسه، بل من حيث إنّه مُستهلك بذاته عند نظر الإمام عليه السلام، والقيّوم قائم مقامه؛ لأنّه سبحانه القائم على كلّ نفس بما كسبت، وإذا كان هو القائم على النفوس فالكلّ قاعد عن ادّعاء الوجود، راجلٌ عن البروز إلى عرصة الشهود، عاجز عن الانتساب إلى مرتبة من مراتب التحقق، واقفٌ على عدمه الأصلي في ميدان التسابق، وأصدق بيت قالته العرب:

ألا كلّ شيءٍ ما خلا اللّه باطلُ[1]...

وهذه الحيثيّة هي الّتي نفى بها الإمام عن السائل هذا القول، ونسبه إلى اللّهِ عزّ شأنه، كما ذكرنا في أحد احتمالي قوله: «ممّن تقول» والمآل في توجيهي الخطاب إلى أمر واحد والتغاير بمحض الاعتبار، فافهم راشداً.

صرنا نحن نحن: أي صيرورتنا نحن مُتسبّبة عن كونك أنت أنت؛ بمعنى أنّك كنت أوّلاً أنت مرّة واحدة إذ لانعت في الحضرة الأحديّة ولا اسم ولا رسم هناك، فلمّا رأيت نفسك وعقَلْت ذاتك كنت أنت أنت مرّتين، فتحقّقت الغيريّة التي هي أصل العدد وإن كانت بالاعتبار فصرنا نحن نحن، وعبّر عن تلك المرتبة الذاتية بقوله: «بينا أنت أنت».

وممّا ذكرنا: ظهر أنّ جوابه يصلح لأن يكون جواباً عن كلا السؤالين، فإنّ كلّ مسؤولاته من أشعّة وجه اللّه وظلال نوره، وهو حقيقة كلّ ذي حقيقة، فافهم واغتنم.

---

١ ـ ديوان لبيد: ١٤٨، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٩٢، العقد الفريد ٥: ٢٧٣.

فهذا جواب موجز: أي هذا الّذي قلت إنّما هو جواب مُجمل عن بعض سؤالاتك وهو السؤال الثاني عن الحقائق الخمسة المصدّرة بقوله ما الواحد المتكثر إلى آخر الخبر.

وأمّا الجواب المُفصّل: أي الجواب عن سؤالك الأوّل بأدنى تفصيل هو ما أقول:

أنَّ الكفر كفران: وجه التقديم والتأخير في السؤال والجواب أنَّ للسائل

قوله قدّس سرّه: وجه التقديم والتأخير... إلى آخره.

وأيضاً إن الجواب عن طريق العلّة جواب عن المعلول، فلانّ المعلول مُندرج في العلّة اندراج العقول التفصيليّة في العقل البسيط.

وبعبارةٍ أخرى: أنّ العلّة صورة تماميّة المعلول، وشيئيّة الشيء بصورته التامّة، فالجواب عن الواحد المُتكثّر ـ الذي هو مقام العقل على تحقيق هذا العارف الكامل، ومقام المشيّة المُطلقة على رأي هذا الفقير العاطل ـ جواب عن سائر الحقائق المسؤول عنها:

أمّا على طريقنا فظاهر؛ فإنّ المشيّة المُطلقة مقام فاعليّة الحقّ المُتعال، وإلهيّة القيّوم ذي الجلال، وقد ورد من طريق أهل بيت الوحي والتنزيل عليهم صلوات الرّب الجليل: (**خلق اللّه الأشياء بالمشيّة والمشيّة بنفسها**)[١].

وأما على طريقته ـ قدس اللّه نفسه ـ فلأنّ العقل أوّل صادر من ربّ العزّة وأوّل ظهور من مظاهر المشيّة، على ماساق إليه البراهين العالية، وحقّق كمال التحقيق في الحكمة المُتعالية[٢] وسائر مراتب الوجود من أنوار عالم الغيب والشهود صدورها بتوسّطه، بل العقل صورة جميع العوالم وفعليّتها، فالعلم بها علم بجميع العوالم، **فافهم** وكن من الراشدين.

---

١ ـ أُصول الكافي ١: ٨٥/٤، التوحيد للصدوق: ١٤٧ ـ ١٩/١٤٨.

٢ ـ الأسفار ٧: ٢٥٨.

من حيث هو سائل مقام الخضوع للتعلّم، فاللائق به التدرّج من المقام الأدنى إلى الأعلى؛ ولأنَّ الشائع في السؤال الابتداء بالأسهل إلى أن ينتهي إلى الأعضل، وللمُجيب من حيث إنّه مُجيب مقام الاستعلاء للتعليم، فكأنّه يجيء من العلوّ فيخبر عن مقام العقل والعالم العلويّ إلى المرتبة النفسيّة والعالم السفلي، فلهذا أجاب الإمام عليه السلام أوّلاً عن الحقائق البدوية، ثمّ أجاب عن الكفر والإيمان اللذين هما من الأعراض والصفات النفسانية، وأيضاً الأنسب في التعاليم تقديم المُوجز على المُفصّل كما لايخفى.

كفر بالله: اعلم أنَّ هذا الكفر وقسيمه هو للخواص، وليس من كفر العوام، بل المتوسّطين في شيء، فللكفر دركات لاتحصى كما أنّ للإيمان درجات لاتتناهى، وقد عبّر عن تلك المراتب بالأجزاء في الأخبار [1] فافهم.

ثمّ بعد ما تعرّفت من معنى الكفر اللغوي اعلم أنَّ الكفر بالله هو اعتقاد أنّ الله عزّ برهانه غيب ماظهر قطّ، وهذا هو القدر المُشترك بين طبقات الكفر؛ لأنّه يشتمل على كونه سبحانه منفيّاً مُطلقاً أو غيره:

فمنها: القول بالنفي والتعطيل[2].

ومنها: القول بالوجود، وأنّه الظاهر بمعنى كون مصنوعاته ظاهرة تدلّ عليه[3] فهو الظاهر بواسطة الدلالات والعلامات، وهذا من قبيل قول بعضهم: إنّ الكلّي موجود بمعنى كون أفراده موجودات[4].

والقائل به وإن كان في زمرة المُسلمين لكنّه كفر خفيّ عند العارفين،

---

١ ـ أُصول الكافي ٢: ١/٣٧.

٢ ـ الملل والنحل للشهرستاني ١: ٤٦ و ٩٠ و ٩٢.

٣ ـ شرح المقاصد ٤: ٢١.

٤ ـ حاشية تهذيب المنطق: ٤٩.

وهو كفر أهل العلم من المُتكلّمين والمُتفلسفين وبعض المُتصوّفة وأكثر النصارى؛ حيث زعم الأوّلان أنّ اللّه غيب ويدل عليه بالآيات، والآخر أنّه سبحانه يحلّ في هياكل الكمّل كالمسيح وغيره من الأبرار[١] وزعم بعض الفرقة الثالثة أنّه سبحانه تطوّر بلباس[٢] الأكوان واختفى بها[٣] وأنّ المُمكنات عوارض الموجود الحقيقي الذي هو اللّه تعالى بزعمهم.

وقد ردّ عليهم سيّد الشهداء عليه وعلى آبائه وأولاده شرائف الصلاة والثناء حيث قال في دعاء عرفة: (**كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مُفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك، حتى يكون هو المُظهر لك، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي الّتي توصل إليك، عميت عين لاتراك ولاتزال عليه رقيباً**)[٤].

وأمّا البرهان على ذلك من طريق الإيجاز: فهو أنَّ اختفاء شيء بشيء

قوله: واختفى ...

ليس مُرادهم من اختفائه تعالى في ملابس الأكوان هو ما فهمه هذا العارف الجليل كما يظهر عند من تدبّر في كلماتهم كمال التدبّر، بل مُرادهم احتجابه تعالى برهانه عن إدراك الخلائق وأوهامهم، كما ورد: (**أنّ للّه تعالى سبعين ألف حجاب من نُور وسبعين ألف حجاب من ظُلمة**)[٥] والوجود وإن كان به ظهور كلّ شيءٍ وكان مشهوداً لكلّ أحدٍ، إلاّ أنّه مع ذلك غير مدرك لأحدٍ، وشهود الوجود المُطلق أيضاً لايمكن إلاّ بكسر أصنام التعينات وخرق الحُجب المُظلمات.

---

١ ـ كشف المراد: ٢٢٧، شرح المقاصد ٤:٥٧، جامع الأسرار و منبع الأنوار: ٢١٨.

٢ ـ في نسخة «ل»: ظهر بطور بدل: تطوّر بلباس.

٣ ـ «بها» ساقطة في «ل».

٤ ـ إقبال الأعمال:٣٤٩.

٥ـ بحارالأنوار ٥٥:٣٤/١٠ ـ ١٢.

يستلزم[1] ثبوت الثاني عند الأوّل لامحالة، ومن البيّن عند أهل السابقة الحسنى أنّ ذلك شرك مع كفر؛ إذ الكلّ هالك عند وجهه الكريم، فسبحانه وتعالى عمّا يقول كلّ مُعتدٍ أثيم.

وكفر بالشيطان: قد عرفت أنّ الشيطان هنا عبارة عمّا سوى اللّه، فاعلم

قوله: وكفر بالشيطان...

اعلم هداك اللّه إلى الطريق المُستقيم المُستبين، وجعلك من المُؤمنين المُوقنين، أنّ الكفر بكلّ شيء هو إخفاء مايستحقّ ذلك الشيء ذاتاً أو صفةً أو فعلاً، فالاعتقاد بأنّ العالم ظاهر في مُقابل ظهور ربّ الأرباب كفر بالشيطان مع كونه شركاً بالرحمن.

بيان ذلك: أنّ لمراتب الموجودات من مطالع عوالم الأنوار المشرقة إلى غواسق صياصي الأقطار المُظلمة ـ ظلاً نورانيّاً ووجهاً حقانيّاً إلى عالم القُدس والطهارة، وظلاً ظلمانيّاً ووجهاً شيطانيّاً إلى معدن الخِسّة والكُدورة:

أمّا الوجه النوراني فهو الذي أُفيض من حضرة الجمع بالفيض المُقدّس الإطلاقي والظلّ المُمتدّ الرحماني، قال تعالى: ﴿**مَامِنْ دَابَّةٍ إلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا**﴾[2].

وقال: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِلَّ**﴾[3].

قال عزّ من قائل: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾[4].

فالماء النازل من سماء الإلهيّة إلى أرض الخلقيّة لإحياء الأموات، والظلّ الممدود إلى هياكل المُمكنات، والهوية الآخذة بناصية الهالكات، هو وجه اللّه الباقي المُشار إليه بقوله عزّ شأنه: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ**﴾[5] و﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيها فانٍ وَيَبْقى وجهُ ربِّك ذو**

---

١ ـ في نسخة «م»: لايستلزم.

٢ ـ هود: ٥٦.

٣ ـ الفرقان: ٤٥.

٤ ـ النحل: ٦٥.

٥ ـ القصص: ٨٨.

أنّ الكفر بالشيطان هو اعتقاد أنّ العالم غيب ما ظهر قطّ وإنّما الظاهر هو

الجلالِ والإكرام﴾[١].

وأمّا الوجه الظلماني والظلّ الشيطاني المُشار إليه بقوله تعالى: **﴿إنْ هِيَ إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤُكُم ماأنزلَ اللّهُ بِها من سُلطان﴾**[٢] فهو جهة النفسيّة والتعيّنات الذاتيّة وشيئيّة الماهيّة.

وبالجملة: جهة الغيريّة والسوائيّة ووجهته الناقصة الداثرة الهالكة، وبالآخرة جهة الدنيا الدنيّة المنكوسة.

ومعلوم أنّ العالم الذي هو ماسوى اللّه ـ وعبّر عنه هذا العارف الجليل والشيخ الكامل النبيل قدّس سرّه بالشيطان ـ هو جهة السوائيّة والغيريّة المُظلمة، وإلاّ فالجهة النوريّة هي وجه اللّه الباقي الفاني في الحقّ المُتعال، فهو ليس من العالم في شيءٍ، بل مقام اُلوهيّة الربّ الحكيم وقيّوميّة الحقّ العليم.

فإذا قد دريت ذلك حقّ الدراية، وفكّرت فيه إلى النهاية، فاعلم أنّ العالم غيب ماظهر قطّ، والحقّ ظاهر ماغاب قطّ[٣] وهذا هو مُراد «صاحب الفتوحات» كما نبّه عليه أخيراً، فعلى هذا الكفر باللّه هو اعتقاد أنّه تعالى شأنه غيب فحسب أو ظاهر فحسب، وأمّا الكفر بالشيطان هو اعتقاد أنّه ظاهر في مُقابل ظهور رب الأرباب، فإنّ الظهور هو الوجه النورانيّ، وقد عرفت أنّه من قبل الرحمن وليس من العالم في شيءٍ، ولايكون عن هذا الشرك خالصاً إلاّ من يرى استهلاك جميع الموجودات ذاتاً وصفة وشأناً في الحقّ القيّوم، بل التوحيد التام هو التحقّق بهذا المقام.

---

١ ـ الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

٢ ـ النجم: ٢٣.

٣ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ١٦٣، كلمات مكنونة للفيض الكاشاني: ٥، رسالتان في الحكمة المتعالية والفكر الروحي للشرف البلاسي: ٩٠.

اللّه فحسب، وهذا كفر مُحقّقي الصوفيّة؛ حيث زعموا أنّه سبحانه ظهر بصورة كلّ شيء، فهذا الزاعم أخفى الشيء الّذي هو السوي ـ أي العالم ـ وهو الكفر بالشيطان.

ولا تتوحّش من ذلك؛ فإنّه أعلى درجات بالنظر إلى قوم، ولكن (حسنات الأبرار سيئات المُقرّبين)[1].

قال «صاحب الفتوحات»: إنّ العالم غيب لم يظهر قطّ، والحقّ هو الظاهر ما غاب قطّ، والناس في هذه المسألة على عكس الصواب، فإنّهم يقولون: إنّ الحقّ تعالى غيب والعالم هو الظاهر، فهم بهذا الاعتبار في مُقتضى هذا الشرك[2].

أقول: قد غفل هذا العارف عن الشرك الّلازم من زعمه؛ حيث حكم بظهور الحقّ تعالى وخفاء العالم، وهو أيضاً من أنحاء الشرك الخفي، وأمّا الإيمان الحقيقي: فهو الاعتقاد بأنّ اللّه هو الظاهر الباطن، والشاهد الغائب، فهو الظاهر إذا طلبته في البطون، وهو الباطن إذا تفحّصت عنه في الظهور، وهو المنزّه عنهما إذا طلبته بكليهما، وأنّ العالم ظاهر باللّه خفيّ بذاته، فتعرّف فإنّه باب عظيم للتوحيد.

اللّهمّ إلاّ أن يقال: إنّ مراد «صاحب الفتوحات» بالظهور هو الاستيلاء على الظاهر والباطن، وبخفاء العالم هو العدم الصرف الذاتي واللّيس المحض الإمكاني.

وبالجملة: فالطائفة الأُولى يقولون ببطونه تعالى فقط، والطبقة الثانية يقولون بظهوره عزّ شأنه فحسب.

وهذان الكفران كلاهما جناحان للإيمان الحقيقي، وهو اعتقاد أنّه تعالى هو الظاهر الباطن؛ بمعنى أنّ ظهوره من حيث بطونه، وأنّ بطونه عين ظهوره، وأنّ خفاءه بمحض ظهوره، وهو الذي استولى على ظواهر الأشياء

١ ـ بحار الأنوار ٢٥:٢٠٥/١٦.

٢ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ١٦٣، كلمات مكنونة للفيض الكاشاني:٥.

وبطن في خفيّاتها بحيث لايعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء كما ورد: **(يا خفياً من فرط الظهور)**[١] و**(يا من احتجب بشعاع نوره)**[٢].

فمن حيث الظاهريّة ورد في أدعية الأُسبوع: **(والخلق مطيع لك خاضع من خوفك، لايُرى فيه نور إلاّ نورك، ولا يُسمع فيه صوت إلاّ صوتك)**[٣].

وفي خبر آخر حيث خوطب الراوي بقوله عليه السلام: **(ألست تراه في وقتك هذا)**[٤]؟!

وفي آخر: **(عميت عين لاتراك ولا تزال عليها رقيبا)**[٥].

وفي خبر آخر: **(هو فوق وتحت وأمام وقدّام)**[٦].

وأمّا من حيث الباطنيّة **(فلا تدركه الأبصار، وإنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم)**[٧].

وأمّا من حيث كلتيهما فقد ورد: **(أين الشيء ومتى الشيء خفياً كان أو جليّا)**.

حيث روي في الكافي عنهم عليهم السلام في معنى «اللّه أكبر» حين قال الراوي في معناه: اللّه أكبر من كلّ شيء، قال عليه السلام في ردّه: **(أين الشيء؟! بل هو أكبر من أن يوصف)**[٨].

وبالجملة: المؤمن الحقيقي والرجل العلمي[٩] هو أن يعتقد أنّ اللّه هو الظاهر الباطن، الأول الآخر، ولا شيء غيره في الحقيقة، بل جميع ماسواه باطل محض هالك أزلاً وأبداً وليس صِرفٌ ظاهراً وباطناً.

---

١ ـ بحارالأنوار ٥٥: ١٣.

٢ ـ بحارالأنوار ٩١: ٤٠٣، مهج الدعوات: ٧٦.

٣ ـ البلد الأمين للكفعمي: ١٣٤، بحارالأنوار ٥٤: ٢٠٩، الدر المنثور ٥: ٧، مصباح الكفعمي دعاء يوم الإثنين.

٤ ـ التوحيد للصدوق: ٢٠/١١٧.

٥ ـ إقبال الأعمال: ٣٤٩.

٦ ـ أُصول الكافي: ١: ١/١٠٠ وفيه هو هاهنا وهاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا.

٧ ـ الفتوحات المكيّة ١: ٩٥.

٨ ـ أُصول الكافي ١: ٩/٩١، التوحيد للصدوق: ٢/٣١٢ و ٣.

٩ ـ في نسخة «ر» الشيعي بدل: العلمي.

وفي خبر: أصدق قيل قالته العرب قول لبيد.

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ[١].

ونعم ما قيل في النظم العربي:

لقد ظهرت فلاتخفى على أحدٍ
إلاّ على أكمه لايعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت مُحتجباً
وكيف يعرف من بالعرف استترا[٢]

وهما السيّان: أي هذان الكفران مِثلان؛ باعتبار أنّ في كلٍّ منهما اعتقاد ظهور ذات وخفاء أُخرى كما بيّنا.

المقبولان المردودان: هذا يحتمل وجهين:

قوله قدّس سرّه: أي هذان الكفران مثلان...

أو هذان الكفران سيّان باعتبار أنّ الزيادة في كلّ منهما هي الزيادة في آخر؛ لما عرفت أنّ الكفر بكلّ شيءٍ إخفاء مايستحقّه، والكفر بالشيطان هو اعتقاد ظهوره في مقابل ظهور ربّ الأرباب، وهذا يلازم الكفر بربّ الأرباب أيضاً؛ فإنّ اعتقاد ظهور العالم في مقابله يُلازم اعتقاد بطونه تعالى فحسب، فهو كفر باللّه، فالزيادة والاشتداد في أحدهما تلازم الزيادة والاشتداد في الآخر.

أو أنّهما سيّان باعتبار كون كلّ منهما مقبولاً ومردوداً، وعلى هذا يكون المقبولان المردودان بياناً للتساوي.

قوله: المقبولان المردودان... إلى آخره

قد عرفت فيما أُلقي إليك فيما سبق أنّ الكفر باللّه يلازم الكفر بالشيطان، وأنّ

---

١ ـ تقدّم تخريجه سابقاً.

٢ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ١٦٥.

أحدهما: أنّ كلّ واحدٍ من الكفرين مقبول عند جماعة مردود عند آخرين، أو كلاهما مقبول ومغتفر من جماعة مثل العوامّ بل المتوسطين الأبرار، مردود عند أهل اللّه والمقرّبين الأخيار؛ لأنّ (**حسنات الأبرار سيّئات المُقرّبين**)[1] وكم من مثوبةٍ لعامل هي عقوبة لآخرين.

وثانيهما: أنّهما مقبولان من وجه مردودان من وجه آخر: أمّا كونهما

الكفر بالشيطان هو اعتقاد ظهوره في مُقابل الرحمن، فعلى هذا يُحتمل أن يكون قوله «المقبولان المردودان المُتّفقان المُختلفان المرجوّان»، وكذا قوله تعالى: **﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾**[2] وكذا قول السائل حيث قال: «كلاهما مرجوّان» لاكلّ واحدٍ منهما، إشارات خفيّة إلى التلازم، فعلى هذا يسقط الاحتمال الثاني من الاحتمالين في الموارد التي ذكرها قدّس سرّه.

ويُحتمل أن يكون قوله: «ونصّ به الرحمن» إشارة إلى نصّه تعالى بالكفر بالشيطان والكفر باللّه وتلازمهما؛ حيث عبّر عنهما بالبحرين وعن تلازمهما بالالتقاء، ومعلوم أنّهما لايختلطان، وكون عليّ وفاطمة عليهما السلام بحرين عميقين أي كون كلٌّ منهما بحرين، لاكون علي عليه السلام بحراً وفاطمة عليها السلام بحراً.

وعلى هذا يكون هذا مقام البرزخيّة الكبرى التي لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أيضاً، وبرزخيّته صلّى اللّه عليه وآله عبارة عن الاعتدال بين الإفراط والتفريط، والقيام بمقام الكثرة والوحدة كما قال صلّى اللّه عليه وآله: (**كان أخي موسى عليه السلام عينه اليمنى عمياء، وكان أخي عيسى عليه السلام عينه اليسرى عمياء وأنا ذو العينين**) وخروجهِ عن الكفرين، ودخوله في التوحيد التامّ، وخروجه عن أنحاء الكفر والشرك.

---

١ ـ تقدّم تخريجه سابقاً.

٢ ـ الرحمن: ١٩.

مقبولين: فحينما انضّم إلى اعتقاد البطون في الأوّل عقيدة الظهور أيضاً، وكذا إلى اعتقاد الظهور في الثاني اعتقاد البطون أيضاً؛ ليرجع إلى الإيمان الكامل. وأمّا كونهما مردودين: فمن حيث الجمود على كلّ واحدٍ منهما من دون اعتبار الآخر، وقد أسلفنا لك أنّ كلاً منهما بانفراده كفر أعاذنا الله منه.

أحدهما الجنّة والاخر النيران: هذا أيضاً يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المقصود أنّ الواحد من هذين الكفرين، هو الكفر بالشيطان، وهو جنّة المتوسطين من أصحاب اليمين، والآخر وهو الكفر باللّه نيران لهم؛ لأنّ الكفر بالشيطان، هو الكفر بما سوى اللّه والعلم بأنّه لاشيء محض، وعدم صرف بذاته، وهو أقرب إلى الخلاص[1] من الثاني، وأبعد من الزلل في الطريق الإيماني، ولاُينافي ذلك كونهما على انفرادهما نيران للمقرّبين؛ لما عرفت من تفاوت درجات أصحاب القرب وأصحاب اليمين.

ثانيهما: أن يكون الغرض على نحو مادريت في وجه الثاني؛ لقوله: المقبولان المردودان، من أنّ الكفر باللّه له اعتباران.

الأوّل: الجمود على الطرف الواحد، وهو اعتقاد خفائه وبطونه فحسب.

والثاني: انضمام اعتقاد الظهور إلى ذلك ليعود إلى الإيمان الحقيقي والتوحيد الخاصّي كما قد بيّنّا، وكذا الكفر بالشيطان له اعتباران على قياس الأوّل، فبالحقيقة هذه الأربعة ترجع إلى ثلاثة أقسام؛ لاتّفاقهما ـ أي الشقّين ـ في قسم الانضمام الذي هو الإيمان الكامل.

---

١ ـ في نسخة «ل»: الإخلاص بدل: الخلاص.

فعلى هذا قوله: أحدهما الجنّة إشارة إلى شقّ الانضمام، ولا شك أنّه الجنّة الحقيقيّة الّتي لاجنّة فوقها، وقوله:والآخر النيران إشارة إلى الجمود على الطرف الواحد، سواء كان الكفر باللّه أو الكفر بالشيطان، وبالحقيقة هما شقيقان لكن لاشتراكهما في الاقتصار على الطرف الواحد عدّهما بالآخر.

وبالجملة: على الاحتمال الأوّل يكون الجنّة والنار بالنسبة إلى المتوسطين من أصحاب اليمين، وأمّا على الاحتمال الثاني فهما بالقياس إلى المُقرّبين، فتبصّر.

وهما اللذان المتّفقان: لاتّفاقهما إذا انضاف إلى اعتقاد الخفاء اعتقاد الظهور، وبالعكس.

المختلفان: إذا انفرد كلّ منهما برأسه.

وهما المرجوّان: هذا أيضاً يحتمل وجهين على قياس ماسبق في الجنّة والنيران:

الأوّل: أن يكون المُراد أنّهما المرجوّان للخلاص من المُتعلّمين والمُتوسّطين وإن لم يليقا بالمُقرّبين.

والثاني: أن يكون المقصود أنَّهما الشيطانان الباطلان البعيدان من رحمة الله الخاصّة، ومن الجنّة المعدّة لأهل السابقة، إذا أُخذا على الانفراد، وهما المرجوّان للخلاص والنجاة إذا انضمّا واجتمعا، وقد عرفت أنَّ المجموع هو الإيمان الكامل، وفي كلام السائل أيضاً إشارة خفيّة إلى قوّة هذا الاحتمال، حيث قال: وما الشيطانان اللذان كلاهما المرجوّان، ولم يقل: كلّ منهما مرجوّ، فتدبّر.

ونصّ به الرحمن: أي بما قلنا من أحكام الظهور والبطون واجتماعهما، حيث عبّر عنهما بالبحرين وعن اجتماعهما بالمجمع في موضع، وفي آخر بالالتقاء والاختلاط حيث قال عزّ شأنه في سورة

الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[1] أي خلاّهما لايلتبس أحدهما بالآخر، والمعنى خلط الظهور والبطون، وبعبارة أُخرى: الوحدة والكثرة، وبعبارة ثالثة: البحر العذب والبحر المالح.

وفي مناقب محمّد بن شهر آشوب عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

قال: (**عليّ وفاطمة بحران عميقان لايبغي أحدهما على صاحبه**)[2] الخبر.

وهذا يرجع إلى ماقلنا من الظهور والبطون، فإنّ الظهور للرجل والستر والبطون للمرأة، ولذلك ورد أنَّ فاطمة عليها السلام هي ليلة القدر[3].

وهاهنا أسرار لارخصة في ذكرها أكثر ممّا ذكرنا، وقد أشرنا إلى لمعة منها في شرحنا لكتاب التوحيد لصدوق الطائفة رضي اللّه عنه[4].

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لايَبْغِيَانِ﴾: البرزخ هو الحاجز بين الشيئين[5] والمراد أنّهما يتساويان بحيث لايغلب الظاهر على الباطن، وكذا العكس، ولا ينبغي اعتقاد رجحان أحدهما على الآخر مثل أن يعتقد أنّ ظهوره غلب بطونه كما يراه طائفة،أو بطونه أشدّ من ظهوره كما يزعمه جماعة، أو أنّ ظهوره بشيء وبطونه بشيء، بل هو جلّ برهانه ظاهر بعين أنّه باطن وبالعكس، وأوّل بنفس أنّه آخر وبالعكس، فظهوره من حيث بطونه وبطونه من جهة ظهوره، وقربه من حيث بُعده وبُعده من وجه قُربه، لابشيء آخر غيره تعالى، فهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون والعادلون علوّاً كبيراً.

---

١ ـ الرحمن: ١٩.

٢ ـ مناقب ابن شهر آشوب ٣:٣١٨.

٣ ـ تأويل الآيات الظاهرة للاسترابادي ٢:٨١٨، تفسير البرهان ٤:٤٨٧/٢٤.

٤ ـ شرح توحيد الصدوق للقاضي سعيد القمي ١: ٦٣٨.

٥ ـ اُنظر الصحاح ١:٤١٩ برزخ.

وفي رواية عنهم عليهم السلام ذكرها محمّدبن شهر آشوب في مناقبه في قوله سبحانه: ﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيان﴾ (البرزخ رسول الله صلّى الله عليه وآله)[١].

أقول: وذلك لأنّه مجمع بحري الظهور والبطون، وبرزخ عالمي الوجوب والإمكان، ومظهر صفتي الجمال والجلال، ومرآة جميع صفات الكمال، ومظهر الاسم الجامع الّذي هو اللّه كما دلّ عليه الكشف الباهر والعقل القاهر والنقل المُتظافر:

منه قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ﴾[٢] وقوله عزّ شأنه: ﴿إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

وفي الخبر العامّي: (كان خلقه القرآن)[٤] ولاريب أنّ القرآن هو الكتاب الجامع.

ومنه (آدم ومن دونه تحت لوائي)[٥] (ولواؤه لواء الحمد)[٦] وهو استجماع

قوله قدّس سرّه: ومنه آدم ومن دونه تحت لوائي.

لأنّ مقامه هو مقام إطلاق المشيّة والولاية الكليّة الأصليّة الهيولويّة الأُولى، وسائر الأنبياء مقامهم مقام تقييد المشيّة والولاية الجزئية التبعيّة وصورة الهيولى، والمُقيّدات مظاهر المُطلق، والجزئيّات مشارق نوره، ومطالع ظهوره، ولهذا كانت نبوّة الأنبياء ظهور نبوّته صلّى اللّه عليه وآله ودعوتهم عليهم السلام دعوة إليه ونبوته صلّى اللّه عليه وآله روح النبوّات وباطنها.

وهذا سرّ كينونة عليّ أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام مع الأنبياء باطناً ومع نبيّنا

---

١ ـ مناقب ابن شهر آشوب ٣١٨:٣.

٢ ـ الفتح: ٢٩.

٣ ـ القلم: ٤.

٤ ـ مسند أحمدبن حنبل ٩١:٦ و ١٦٣.

٥و٦ ـ تقدّم تخريجه سابقاً.

صفات البهاء والكمال والمجد.

وعندي بحمد اللّه جلّ برهانه على هذا المقصود برهان قويم وطريق مُستقيم ذكرته في شرح التوحيد.

وبما قلنا ظهر جواب باقي سؤالاتك: أي هذا الذي أفدناك هو جواب سؤالاتك التي بقيت عند الجواب المُجمل عن سؤالك الأخير، كما ستطّلع عليه إن شاء اللّه.

شهق شهقة: الشهيق ضد الزفير؛ لأنّ الشهيق رَدُّ النفس كما يفعله الواجد والمُغتمّ، والزفير إخراج النفس، كذا في «مُجمل اللّغة»[1].

أقول: وربّما يُستعمل الشهيق في الصوت العالي وكأنّه المُراد هاهنا.

وإذ قد بلغنا هذا المبلغ في شرح الألفاظ فلنأخذ في ذكر الفوائد لحلّ الألغاز واللّه المستعان.

ظاهراً، أو معهم سرّاً ومعه جهراً، كما ورد عنه عليه السلام[٢] وهذا سرّ كينونيّته صلّى اللّه عليه وآله نبيّاً وآدم بين الماء والطين[٢] فإنّ نبوّته دائمة سرمديّة أزليّة أبديّة، كما أنّ نبوّة عينه الثابت على سائر الأعيان أيضاً أزليّة أبديّة.

---

١ ـ مجمل اللغة ٢:٥١٤.

٢ ـ مشارق أنوار اليقين: ٨٥.

٣ ـ مناقب ابن شهر آشوب ١:٢١٤.

الفائدة الأولى

تفصيل القول في الجواب
عن السؤال الأول

معنى الكفر والإيمان
والجنّة والنيران والشيطانين

اعلم أنَّ ما استفيد من كلام الإمام عليه السلام في تحقيق الكفر هو الجواب عن جميع الأشياء المُوردة في السؤال الأوّل، فبالحري أن نفصّل القول في ذلك على ما اقتبسناه من مشكاة أنوارهم صلوات اللّه عليهم لتظهر بعض أسرارهم، فنقول: إنَّ السائل سأل:

أوّلاً: عن الكفر والإيمان بقوله: ما الكفر والإيمان، فالجواب على ما أفاد الإمام عليه السلام، هو أنَّ الكفر اعتقاد أن يعزب شيء من الظاهر والباطن والغيب والشهادة، أو عالم من العوالم الوجوديّة، أو مرتبة من المراتب الشهوديّة، أو ذرّة من الجلائل والدقائق، أو حقيقة من الحقائق عن اللّه جلّ شأنه أو عن صفاته الحسنى؛ إذ لايعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، كما لايعزب عن علمه مثقال ذرة فيهما[1] نصّ بهذين الأمرين قرآنه المجيد المُنزّل على رسول الثقلين وإمام العالمين.

أمّا الإيمان: فهو التصديق بأنّ اللّه جلّ جلاله هو الموجود الحقّ والثابت

١ـ يونس: ٦١.

المُحقّق، وما سواه هالك باطل أزلاً وأبداً، ماشمّ رائحة الثبوت والوجود، ولا كتب في ناصية إمكانه الشهود، واللّه هو الظاهر الباطن، وهو الأوّل الآخر، وأنَّ له الأسماء الحسنى، والصفات العليا لايشاركه فيها غيره تعالى، ثمّ اعتقاد مايتبع ذلك من القول بالملائكة والكتب والرسل المُكرمين، وعدم التفريق بينهم على اليقين، بل كأنّهم نقاط الدائرة، أو كالحلقة المُفرغة، وأمّا صاحب الدائرة فهو نبيّنا سيّد الأوّلين والآخرين، وتمام عدّة المُرسلين، وخاتم فصّ الرسالة، وختم أمر الدنيا والآخرة، كما يدلّ على هذا المدّعى تلك الألقاب العليا بعد ما اُقيم عليه البرهان، وصدّقه كشف أرباب العيان، وفراسة أهل الإيمان.

وثانياً: سأل عن الكفرين، وأجاب عنه الإمام مولى الثقلين من دون رمز في البيان، بأنّ الكفرين هما: الكفر باللّه، والكفر بالشيطان بالمعنى الّذي ذكرنا في البيان.

وثالثاً: سأل عن الجنّة والنيران وما لهما من الشأن، والجواب ـ على ما هو المُستفاد من كلام الإمام عليه السلام ـ أنَّ الجنّة الحقيقيّة هي: التخلّص عن ربقة هذين الكفرين والتوجّه التام إلى خالق الكونين، ورؤية الكلّ من اللّه وباللّه وللّه وإلى اللّه، ومُشاهدة أنَّ هاهنا نوراً واحداً حقّاً لايحوم حوله التعدّد والكثرة،وصيرورة العبد بحيث لايرى شيئاً إلاّ ويرى اللّه قبله؛ ولذا ورد **(ما في أشرف مثوبات الأعمال كلا إله إلّا اللّه)**[1] و **(في أعظم فوائد التخلّق بالصفات أنّه النظر إلى وجه اللّه)**.

وبالجملة: جنّة المُقرّبين النظر إلى وجه اللّه ذي الجلال، والرجوع إلى مبدأ الكلّ بالكمال، والتقرّب إليه بالاتّصال، والتخلّق[2] بصفاته الحسنى

١ـ اُنظر بحارالأنوار ٣:٣/٥.

٢ ـ في نسخة «ل»: التحقق بدل: التخلق.

بالتفصيل والإجمال، ومشاهدة جمال ربّ العالمين، الّذي هو مبدأ كلّ حسن وجمال، وعدم رؤية ما سوى الحقّ المُتعال، بل عدم خطوره بالبال، فقد ورد في «الكافي» عن الصادق جعفربن محمّد عليه السلام أنّه قال: **(لو يعلم الناس ما في فضل معرفة اللّه تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع اللّه به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم، وتنعّموا بمعرفة اللّه، وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء اللّه)**[1].

وممّا يؤيد ما أسسنا: من أن جنّة المقربين هي المعقولات الحقيقيّة من العلم باللّه وصفاته مافي بصائر الدرجات لشيخنا القمّي عن نضربن سويد قال: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّوجل: **﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مسكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَمَقْطُوعَةٍ وَلاَمَمْنُوعَةٍ﴾**[2] قال: **(يا نضر واللّه ليس حيث يذهب الناس، إنّما هو العالم وما يخرج منه)**[3] الخبر.

وأمّا النار فهو التقيّد بأحد الكفرين، وحصول فعليّة الشيطنة والبُعد من اللّه، وفقدان المعارف اليقينيّة والكمالات الحقيقيّة: من العلم باللّه وصفاته، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ورسوخ العقائد الباطلة المُضادّة للمعارف الحقيقيّة أعاذنا اللّه منهما بفضله.

ورابعاً: سأل عن الشيطانين، والجواب أنّ أحدهما هو ما سوى اللّه باعتبار اعتقاد خفائه تعالى وظهور الغير والسوى، وأمّا الآخر فهو ما سواه أيضاً باعتبار ظهور الحقّ على هياكل الأشياء وخفاء ماسواه به تعالى، كأنّه سبحانه كالعارض لها فيخفى المعروض به تعالى.

وقد نقل عن ذكر المجوس ماينتهي إلى ذلك؛ حيث زعموا أنّ اللّه تعالى

---

١ ـ روضة الكافي: ٣٤٧/٢٠٧.

٢ ـ الواقعة: ٣٠ ـ ٣٣.

٣ ـ بصائر الدرجات: ٣/٥٠٥، والرواية عن نضربن قابوس.

تفكّر في نفسه قبل خلق العالم أنّه لو كان له منازع كيف يكون، وهذه فكرة رديّة خلق اللّه منها الشيطان الّذي عندهم أهرمن[١].

وقد عرفت أنّ ذلك كفر أي طائفة من الإسلاميّة وغيرهم، وأنّ من تداركته الرحمة الخاصّة الإلهيّة والسابقة الحسنى الأزليّة قد تبرّأ من هذا الكفر، ورأى أنّ اللّه هو الظاهر والباطن، وأنّه أولى بكلّ شيء من نفسه، وأنّ ما سواه هالك باطل بذاته وبكليّته، هذا ما ظهر لي من جوابه عليه السلام عن السؤال الأوّل بفضل اللّه العلي الأجلّ.

١ ـ الملل والنحل للشهرستاني ١:٢١٣.

الفائدة الثانية

في تحقيق الجواب الثاني
وكشف حقائقه على الوجه الشافي

وفيه مباحث شريفة

المبحث الأول

ما الواحد المتكثر

اعلم أنَّ السائل في المرّة الثانية سأل أوّلاً عن الواحد المُتكثّر، والجواب عنه أنَّه الصادر الأوّل المُعبّر عنه في بعض الاصطلاحات بالعقل الكلي[1]

قوله قدس سرّه: في تحقيق الجواب الثاني.... إلى آخره.

قد حان حين ما انكشف الحجاب عن وجه المحبوب، وآن أوان ما نلقي النقاب المُلقاة على المطلوب، فاعلم هداك اللّه تعالى إلى دار القرار ورزقك التجافي عن دار البوار: أنّ الوحدة كلّها والفردانيّة جلّها من عالم الوجوب والوجود مُودعة ممّا وراء الغيب على الغيب والشهود، خارجة عمّا وراء الأستار إلى الأنظار، وإلاّ فجميع العوالم التي كتب على نواصيها التعيّن والتقييد، واُلبس عليهم لباس التقدّر والتحديد، وقُدّر عليهم قدر معلوم، ورسم على وجوههم رسم مرسوم، من ذاتها التكثّر والغيريّة، ومن حقيقتها الحيث والحيثيّة، لايحوم حولها الوحدة إلاّ إيداعاً، ولاتدخل في دار الهوهويّة إلاّ إيداعاً.

ولكنّها مع الكثرة والتفرّق من جبّلة كل منها الميل إلى عالم الوحدة والعشق بدار

١ـ رسائل إخوان الصفا ٣: ٣٢٢.

الأُنس وموطن الفردانيّة، وكتب عليها الفرار عن دار الفراق، والوحشة والخلاص عن محلّ الظّلمة والكدورة، وهذا أيضاً من مودعات حضرة الجمع والأحديّة كما قال الشيخ «صاحب الفتوحات»: والقابل من حضرة الجمع[١].

والقيّوم جلّ برهانه وعظم شأنه وسلطانه حيثما أحبّ بالحب المُستكنّ في ذاته المُقدّسة إظهار الكنوز المُختفية من حضرة الغيب إلى الشهادة، ومن مقام الجمع إلى التفصيل؛ لرؤية ذاته المُقدّسة في المرائي الخلقيّة، وشهود الظاهر المُبدع في المظاهر المُبدعيّة، تجلّى بالفيض المُقدّس الإطلاقي والاسم الأعظم المُعبّر عنه تارة بالمشيّة المُطلقة، وأُخرى بالولاية الكليّة، وثالثة بالرحمة الواسعة، ورابعة بالحقيقة المحمديّة، وخامسة بعلويّة عليّ عليه السلام، وسادسة بنفس الرحمن ومقام حضرة العلميّة، إلى غير ذلك من الإشارات والعبارات حسب اختلاف المقامات.

عباراتنا شَتّى وحُسنك واحدٌ وكـلٌّ إلى ذاك الجمـالِ يشـيرُ[٢]

وهذا الفيض النازل من حضرة الجمع هو الواحد المُتكثّر، والدليل على ذلك من وجهين نقلي وعقلي:

أمّا النقلي: فقوله تعالى شأنه وعظمت قدرته: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ ماءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً**﴾[٣] حيث عبّر عن حضرة الجمع والهويّة الغيبيّة بالسماء لسموّ مرتبته وعلوّ شأنه، وتنزّهه عن جميع النقائص، وتقدّسه عن قاطبة الكثرات، وعن تجلّيه تعالى في هياكل المُمكنات وظهوره في مظاهر الموجودات وعبور فيضه عن عوالم المُجرّدات إلى غواسق الماديّات ومن عوالي عالم الجبروت إلى سوافل عالم

---

١ ـ أُنظر الفتوحات المكية ٣: ٥٠٦.

٢ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٧٥.

٣ ـ الرعد: ١٧.

الناسوت بالنزول، وعن الفيض النازل من سماء الأحديّة إلى الأراضي الخلقيّة والعطاء المُفاض على العباد والرحمة الواسعة في البلاد بالماء الذي به حياة الأشياء، وعن هياكل الماهيّات وشيئيّات المُتعينّات بالأودية، وعن اختلاف مراتب استعداداتها وتشتّت منازل قبولها بالقدر.

ومعلوم أنّ الفيض الواحد النازل في تلك المنازل المُتعدّدة، الراحل في هذه المراحل المتشتّتة يتكثّر بتكثّرها ويتطوّر بتطوّرها ويتعيّن بتعيّنها، فأفاد تعالى جدّه وحدة الفيض النازل ذاتاً وتكثّره عرضاً في أودية الماهيّات بأحسن بيان وأجمل تبيان. وفي آثار أهل بيت النبوّة ومعدن العلم والحكمة إشارات ورموزات وتلويحات وتصريحات إلى ماذكرنا أكثر من أن تحصى[١].

وأمّا العقلي: فلما حُقّق في مدارك أرباب الحكمة المتعالية[٢] أنّ الوجود مع وحدته ذو مراتب متفاوتة طولاً وعرضاً بالعرض، وهذا ممّا صدّقه البرهان، ووافقه كشف أصحاب القلوب والعرفان، فليس التكثّر في الوجود بحسب الذات والحقيقة، وليس فيه حيث وحيثيّة ولاتفرّق وغيريّة في أيّ منزل من المنازل كان، وفي أيّ صورة من الصور بان، وفي كلمات أصحاب القلوب والمعرفة وأرباب السلوك والطريقة مايفيد ماذكرنا تلويحاً وتصريحاً أكثر من أن تحصى[٣] ولم يحضرني الآن من كتبهم فمن أراد فليرجع إليها.

وأمّا سائر الموجودات المُتعيّنة حتّى القاطنين في عالم العقل والمتوطّنين في وعاء الدهر ليست من ذاتها الوحدة والتفرّد ويعرض لها التكثّر، كما أفاد هذا العارف

١ ـ شرح أُصول الكافي لصدر المتألهين ٣: ١٥، الشواهد الربوبية: ١٤٠.
٢ ـ الأسفار ١: ٣٥.
٣ ـ تمهيد القواعد: ١١٤، شرح القيصري على الفصوص: ٥.

الجليل والشيخ الذي لم يكن له بديل، وإن كان عوالم المجرّدات المُقدّسة عن كدورة المادّة والمُطهّرة عن أرجاس عالم الهيولى المُظلمة،مُندكّة ماهيّاتها في إنيّاتها، وفانية نفسيّتها في نور ربّها، بل بنظر أرباب المشاهدات لاماهيّة لها، إلاّ أنّه ليس الذات والذاتي لها، بل بقهر نور الأنوار عليها وغلبة حضرة ذي الجلال على ذاتها وحيثيّاتها، ولهذا يقال لعالمهم: «عالم الجبروت» لجبر نقيصتها بتماميّة الربّ المُتعال، ورفض غبار إمكانها بوجوب وجود ذي المجد والجلال.

وهاهنا احتمال آخر قريب المأخذ ممّا ذكرنا: وهو أنّ الحقائق الغيبيّة في الحضرة الجمع والواحديّة والأعيان الثابتة صور الأسماء الإلهيّة لمّا رأين كونها تحت أستار الأسماء محجوبة عن مُشاهدة بعضها بعضاً، اجتمعن في الحضرة الأسماء الإلهيّة، وتوسّلن بها توسّل الفقير المسكين، وقلن: إنّ العدم قد حجبنا عن رؤية بعضنا بعضاً، بل عن رؤية ذاتنا، فأفيضوا علينا فيض الوجود وأظهرونا في دار الشهود، فلمّا رأت الأسماء حقيقة سؤالها اجتمعت في الحضرة الاسم الأعظم، واستشفعت عنها في الحضرة الغيبيّة، فقبل استشفاعها، وتمسّك بالهويّة الغيبيّة والحضرة الأحديّة، وقال: ياهو يامن هو يامن ليس إلاّ هو، وتقدّم في حضرته عرض مسؤولاتها فصدر الأمر من حضرته بأن أجبت مسؤولاتها وأذنت لك أن تظهر حقائقها من حضرة الغيب إلى الشهادة، فتجلّى اللّه بالرحمة الرحمانيّة ـ التي هي بسط أصل حقيقة الوجود ـ فأظهر الحقائق بذاك التجلّي في لباس الخلائق.

وحيث كان من مودعات حضرة الجمع ميل الوصول لها إلى باب ذي الجلال، والنزول في جناب الحقّ المُتعال، سألت باللسان الاستعدادي الذي هو أنطق اللسانين، والسؤال الحالي الذي هو أفصح السؤالين، والبيان الذاتي الذي هو أصرح البيانين، من الاسم الأعظم بواسطة الأسماء الأُخر كمالَ الوجود، فتجلّى عليها بالرّحمة الرحيميّة

التي هي بسط كمال الوجود، ففتحت قوس النزول والصعود، وكملت عوالم الغيب والشهود، ببسط الرحمة الرحمانيّة والرحمة الرحيميّة وورد: (**ياباسط اليدين بالرحمة**)[١] وقال تعالى: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[٢] ولهذا جعل الرحمن الرحيم تابعاً لاسم اللّه في قوله: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾.

وقد قال الشيخ «صاحب الفتوحات» في فتوحاته: «ظهر الوجود بسم اللّه الرحمن الرحيم»[٣] فالرحمة الرحمانيّة والرحمة الرحيميّة مقام تفصيل اسم اللّه الذي هو مقام المشيّة المُطلقة. وقد بسطنا ذلك في رسالتنا الموضوعة لشرح دعاء عظيم الشأن الوارد عن لسان أهل البيت للتمسّك بحضرة المنّان في سحور شهر رمضان[٤].

إذا حفظت ماذكرنا حقّ الحفظ يمكن لك تطبيق الواحد المُتكثّر على الرحمة الرحمانيّة التي هي بسط أصل الوجود؛ فإنّها الواحدة بالذات والمُتكثّرة بالعرض في ملابس التعيّنات والحقائق الخارجيّة الظاهرة بها كما بيّن تلك الوحدة والتكثّر سيّد الأولياء والموحّدين أمير المؤمنين صلوات اللّه وسلامه عليه بأحسن بيان وأجمل لسان في دعاء كميل بن زياد رضي اللّه عنه بقوله: (**برحمتك التي وسعت كُلّ شيءٍ**)[٥].

وهاهنا احتمالان آخران لقوله: «ماالواحد المُتكثّر» إن ساعدني التوفيق الرّباني والتأييد السبحاني نذكره في آخر هذه المسودّات إن شاء اللّه تعالى، والحمد للّه على ماأنعم والصلاة على نبيّه المكرّم وآله المُعظّم.

---

١ ـ البلد الأمين للكفعمي: ٤٠٤ دعاء الجوشن الكبير.
٢ ـ المائدة: ٦٤.
٣ ـ الفتوحات المكية ١:١٠٢.
٤ ـ أُنظر شرح دعاء السحر: ٥٥.
٥ ـ البلد الأمين للكفعمي: ١٨٨.

والعالم العلوي[١] وفي بعضها بالنور المُحمّدي[٢] ونور الأنوار[٣] وعالم الأسماء والصفات[٤] ومرتبة الواحديّة[٥] والعالم الإلهي[٦] والمُثل النوريّة[٧] إلى غير ذلك من التعبيرات اللائقة.

والدليل على ذلك من وجهين نقلي وعقلي:

أمّا النّقلي: فقد ورد عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله على ما نقل صدوق الطائفة شيخنا القمّي رضي اللّه عنه في كتاب العلل مُسنداً إلى أمير المؤمنين عليه االسلام أنَّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله سُئل ممّ خلق اللّه عزّوجل العقل؟

قال: (**خلقه ملكاً له رؤوس بعدد الخلائق، مَن خُلق ومَن لم يُخلق إلى يوم القيامة،**

قوله صلّى اللّه عليه وآله: خلقه ملكاً له رؤوس...

أشار عليه السلام في ذلك الحديث القدسي إلى أسرار ورموز وحقائق وكنوز ومباحث علميّة وأبواب فلسفيّة لاتصل إليها إلاّ أيدي أُولي الألباب من أولياء الحكمة والفلسفة، ولايحوم حولها إلاّ أصحاب القلوب والأحباب من ذوي السابقة والمعرفة، ولنشر إلى جملة منها إجمالاً، ولنذكر لمحة منها اختصاراً، مُجرّداً عن التفصيل والتطويل مُقتصراً على ذكر الدعوى خالياً عن البرهان والدليل، فإنّ الرسالة لم تُوضع لذكر الأدلّة وجرحها وتأييد المسائل أو طرحها، فنقول:

أشار صلّى اللّه عليه وآله: بقوله: «له رؤوس بعدد رؤوس الخلائق» إلى كينونة الأشياء في العالم العقلي قبل نزولها في العوالم السافلة أو ظهورها في المراتب النازلة، وهذه إحدى المسائل المُختلف فيها بحسب الظاهر بين معلّم حكمة المشّاء

---

١ ـ الفتوحات المكية ١:٢٩٢ وما بعدها.

٢ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٥٦٣.

٣ ـ الأسفار ٦:٣٠٥ و ٣٠٦.

٤ و٥ و٦ ـ شرح فصوص الحكم للقيصري: ١١.

٧ ـ منظومة السبزواري: ١٩٨.

أرسطوطاليس وأُستاذه المعظّم أفلاطون الإلهي، وقد جمع بين الرأيين، وصالح بين القولين، مُجدّد الحكمة المتعالية، ومؤسّس الفلسفة العالية، شيخ مشايخ الأولياء والحكماء، صدر صدور المتألّهين والعرفاء في كتابه الكبير[١].

وبقوله صلّى اللّه عليه وآله: «من خلق ومن لم يُخلق» إلى فعليّة علم الموجود العقلي قبل إيجاد الخلائق، وإلى أنّ الحقيقة البسيطة العقليّة كلّ الأشياء بنحو البساطة، وأنّه ينال الكلّ من ذاته، فإذا كان الموجود العقلي كذلك فكيف بالموجود الحقّ والحقّ المطلق بهر برهانه وجلّت عظمته وسلطانه؟!والعلم قبل الإيجاد أيضاً من المسائل المتنازع فيها، وقد برهن عليه في كتب أرباب الحكمة[٢] طبقاً لمشاهدة أرباب الطريقة وكشف أولياء المعرفة، وقد أشار صلّى اللّه عليه وآله إلى أصل المسألة وبرهانها وبيان الحقيقة وتبيانها.

وبقوله: «لكلّ آدمي رأس من رؤوس العقل» إلى الارتباط التامّ بين الموجود وسائر الموجودات وعبّر عن ذلك الارتباط ذلك الحكيم المتأله بالوجود الرابط فقال على ماسنح بالبال مامعناه: إنّ للعقل وجوداً نفسيّاً ووجوداً رابطاً، وبهذا صحّح اتّحاد النفس بالعقل الفعّال، ردّاً على شيخ مشائيّة الإسلام[٣] وهذا الارتباط كارتباط الحقّ بالخلق بالفيض المُقدّس الإطلاقي[٤].

وبقوله: «واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب» إلى أنّ ارتباط العقل مع كلّ موجود بوجهٍ خاصّ غير ارتباطه مع الآخر، فلايلزم التجزئة في

---

١ ـ الأسفار ٨: ٣٣١.

٢ ـ نفس المصدر ٦: ٢٦٣.

٣ ـ نفس المصدر ٣: ٣٣٥ و٤٢٨.

٤ ـ الأسفار ٢: ٣٥٤، وشرح فصوص الحكم للخوارزمي: ١١٨.

ولكلّ آدميّ رأس من رؤوس العقل، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب، وعلى كلّ وجه سِتر مُلقى لايكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يبلغ ذلك المولود ويبلغ حدّ الرّجال أو حدّ النساء، فإذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب ذلك الإنسان نور،

البسيط مع اتّحاد نفوس جزئيّةٍ معه، أو علم النفس بقضيّة واحدة عقليّة علمها بجميع مراتب الوجود، كما هو أحد الإشكالات التي أوردها ذلك الشيخ الفيلسوف[1] على القائلين باتّحاد النفس مع العقل الفعّال واستصعبه، وأعطى ذلك المتألّه حلّه ونقض غزله.

وبقوله: «وعلى كلّ وجه ستر» إلى الحجاب الذي بين الإنسان والعالم العقلي قبل الوصول إلى مقام القلب والنزول في منزل العقل.

وبقوله: «يبلغ حدّ الرجال أو النساء» إلى الوصول إلى مقام القلب الذي هو مقام ظهور تفصيل مراتب الوجود في قلبه وقراءة سلسلة الغيب والشهود من ذاته، فإنّ هذا مقام صيرورته مسمّىً باسم الرجال والنساء الذين من ألقاب الإنسان على الاستحقاق.

وبقوله: «فإذا بلغ كشف ذلك الستر» إلى اتّحاد النفس بالعقل الفعّال في ذاك المقام على التحقيق، وهذا أيضاً من المسائل المهمّة التي اختلفت آراء الحُكماء فيها، وأنكر الشيخ على مُثبته كمال الإنكار، ونسب صاحبه إلى الشين والعار[2] وقد صحّحه وبرهن عليه ذلك الحكيم المتألّه في كتابه الكبير[3] والرحيل إلى اللّه الخبير البصير.

وهاهنا أسرار أُخرى لايسعها المقام، والأولى طيّ الكلام، وعلى اللّه التوكّل في البدو والختام.

---

١ ـ الإشارات والتنبيهات ٢: ٣٦٧ و٣: ٢٩٤.

٢ـ نفس المصدر ٣: ٢٩٤.

٣ ـ الأسفار ٣: ٣٣٥

فيفهم الفريضة والسنة والجيّد والرّديء، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في البيت)[١]. صدق رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

بيان:

أقول: عبّر صلّى اللّه عليه وآله عن الحقيقة العقليّة التي لكل شيء في عالم العقل وعقل الكلّ بالاسم، وهو الاسم الإلهي الذي يدبّر كلّ موجود يكون تحت حيطته، وعن تطوّرها بكسوة الحقائق التي تحتها حين تنزّلها بالستر، وعن ظهور المادّة العقليّة التي هي النفس النطقيّة من حيث بَدو ظهورها عقلاً هيولانيّاً بالكشف حين التولّد، وعن البلوغ إلى العقل بالملكة بالبلوغ الذي للرجال وهو الخروج عن المُنى ـ بالضّم ـ كما أنَّ بلوغ الصبيان بخروج المَني ـ بالفتح ـ وعن إدراك الحقائق واستفادتها من الجوهر العقلي المفيض وهو مرتبة العقل المُستفاد بوقوع النور في القلب، وعن مرتبة العقل بالفعل وصيرورة النفس عقلاً محضاً بقوله: فيفهم الفريضة والسُّنة وغيرهما.

ويمكن أن يكون كشف الستر أوان البلوغ إشارة إلى ما ذهب بعضٌ من أنَّ النفس الناطقة إنّما تفيض للمُستعدّ لها حينما بلغ مبلغ الرّجال لا لكل أحد[٢].

وبالجملة: في هذا الخبر من حُسن التعبير من وحدة العقل مع تكثّر أطواره، واشتماله على جميع الحقائق الوجوديّة اشتمالاً جمليّاً عقلياً خارجاً عن فهم الجماهير ومن التعبير بالوجه والرأس وكتابة الاسم ووجود الستر مايبهر العقول ويعجز الفحول.

---

١ ـ علل الشرايع: ١/٩٨ باب ٨٦.

٢ ـ الأسفار ٨: ١٣٦ و ١٣٧.

ولنعرض صفحاً عن ذكر ما فيه من الأسرار، ونجعلها تحت الأستار، عسى اللّه أن يكشفها للبلّغ الأحرار.

وأمّا العقلي: فلما تقرّر عندنا بفضل اللّه، وعند أفاضل القدماء[١] وشرذمة من المُتأخّرين[٢] وقليل من الآخرين[٣] من أكابر أهل اللّه المُحقّقين، بالبراهين القاطعة الّتي لايحوم حول حريمها شبهة، أنّ العقل بل كلّ بسيط عقلي فهو مع وحدته البسيطة وبساطته الحقيقيّة كلّ الأشياء العقليّة التي دونه بنحو جُملي[٤] واشتمال عقليّ لايعرفه إلاّ الراسخون، وسيجيء البرهان الذي هدانا اللّه إليه في محلّه. وفي كلام العرفاء إيماءات إلى ذلك وإشارات، سيّما مُعلّم الحكمة تصريحات إليه وتلويحات.

منها: ما قال الميمر العاشر من كتاب «اثولوجيا في معرفة الربوبيّة» بهذه العبارة: ونقول: إنّ في العقل الأوّل جميع الأشياء وذلك لأنّ الفاعل الأوّل أوّل فعل فعله هو العقل، فعله ذا صور كثيرة، وجعل في كل صورة منها جميع الأشياء التي تلائم تلك الصورة، وإنما فعل تلك الصورة وحالاتها معاً لاشيئاً بعد شيء، بل كلّها معاً دفعة واحدة[٥] انتهى.

أقول: وهذا الكلام ممّا يليق به أن يكون شرحاً لبعض ما في حديث خير الأنام.

ومنها: ما قال في الميمر الثامن من هذا الكتاب بعد كلام في ذكر أنّ الشيء يكون واحداً ولا واحداً، إلى أن قال: وكذلك العقل واحد وهو كثير، وليس هو كثيراً كالجثة، بل هو كثير بأنّ فيه كلمة تقوى على أن

---

١ ـ أثولوجيا إفلوطين:٩٨ و ١٣٩.

٢ ـ الأسفار ٦: ١١٠.

٣ ـ أُصول المعارف للفيض الكاشاني: ٢٩ ـ ٣٠.

٤ ـ في نسخة «ل»: على نحو الجمع بدل: بنحو جملي.

٥ ـ أثولوجيا إفلوطين: ١٣٩.

تفعل أشياء كثيرة وهو ذو شكل واحد، غير أنَّ شكله شكل عقلي، والعقل إنَّما يكون محدوداً بشكله، ومن ذلك الشكل تنبعث جميع الأشكال الباطنة والظاهرة[١].

ومنها: ما قال في الميمر الثاني: وإنَّما صار العقل إذا ألقى بصره على ذاته وعلى الأشياء لايتحرك؛ لأنَّ فيه جميع الأشياء وهو شيء واحد كما قلنا مراراً[٢] انتهت كلماته الشريفة.

١ ـ نفس المصدر: ٩٨.
٢ ـ نفس المصدر: ٣٤.

المبحث الثاني

ما المتكثر المتوحّد

والجواب أنَّه هي النفس الكليّة[1] الإلهيّة المُدبّرة لجميع النفوس الكليّة

قوله قدّس سرّه: في أنّه سئل عن المُتكثّر المُتوحّد... إلى آخره.

قد انكشف على قلبك بإيضاح السبيل، وانفتح على روحك بتقديم الدليل، فيما سبق من الحقّ الصريح، وتقدّم من القول الفصيح: أنّ العالم العقلي والتعين الأوّلي مع شدّة نوريّته، وكمال ذاته وتماميّته، وخلوصه عن لواحق المادة، ومحوضه عن لوازم المدّة، لايخلو عن التكثّر في الذات، ويعانقه الجهات والحيثيّات؛ لأنّه في حجاب التعيّن والتقييد وبرقع التقدّر والتحديد، وله قدر معلوم وحدّ محتوم.

ولكنّه لتنزّهه عن الهيولى والاستعداد وتقدّسه عن التعلّق والامتداد، خروجه عن تصرّف المكان والمكانيّات وخلوصه عن سلطان الزمان والزمانيّات، وصفاء مرآته للتجلّي الربّاني، وصقالة ذاته لانعكاس النور الرّحماني، إذا أُفيض عليه الفيض من حضرة الكريم، وتجلّى عليه القيّوم القديم، جبر نقصه بتماميّة فاعله، وتوحّد كثرته بوحدانيّة جاعله، واندكّت ذاته في نور ربّه اندكاكاً، وانقهر في سلطان كبريائه

---

١ ـ في نسخة «ل»: الكلمة بدل: هي النفس الكليّة.

انقهاراً، فلايبقى لذاته حكم ولاأثر، ولا للازمها أصل ولاخبر، والكثرة التي من الذاتيّات لاحكم لها مع عدم الذات، فإنّها مرفوع الحكم برفع ملزومها، محكوك الأثر بحك مخدومها، فجلس سلطان الوحدة إلى مقرّه ورجع الأمر كلّه إلى أمره.

ومن هذا يحدس اللبيب أنّ المُتكثّر المُتوحّد هو الموجود العقلي الذي هو مُتكثّر في الذات وله حيث وحيثيّات ومتوحّد بتجلّي الواحد المحض عليه، وتوجّه الفرد الأحد إليه، ويعلم العاقل وجه تقديم المُتكثّر على المُتوحّد ووجه تقديم الواحد على المُتكثّر فيما سبق.

وفي التعبير بصيغة التفعّل في قوله: «المُتكثّر المُتوحّد» مع كون الكثرة ذاتيّة إشارة خفيّة إلى أنّ الذات بعد التجلّي الربوبي يصير حكمها حكم العرضيّات، ويرجع الأمر كلّه إلى المُتجلّي بالذات والصفات.

وسرّ التعبير عن مقام المشيّة المُطلقة بالواحد المُتكثّر، وعن الموجود العقلي بالمُتكثّر المُتوحّد هو، أنّ المشية لها الوحدانية الذاتية الحقيقيّة ظلّ الوحدانيّة الحقّة الحقيقيّة، وليس فيها تكثّر بحسب الذات ولاتعدّد الجهات والحيثيّات، وهي الأمر الواحد المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ**﴾[1] وإنّما التكثّر باعتبار تلبّسه بلباس التعيّنات وتنزّله في منازل المُقيّدات، وهذا هو التكثّر العرضي، ولاتكثّر في نظر أرباب المشاهدات، وهو مقام الألوهيّة والربوبيّة والقيّوميّة والقدوسيّة ومقام الأسماء والصفات والرحمانيّة والرحيميّة الفعليّة، وأمّا الموجود العقلي فقد عرفت حاله ومرجعه ومآله.

وماذكر هذا العارف العظيم والسالك على الصراط المستقيم قدّس اللّه نفسه وروّح رمسه تحقيق رشيق وكلام عرفاني دقيق، كيف؟! وهو من أعظم عرفاء الشيعة

---

١ ـ القمر: ٥٠.

والجزئيّة، المرتبة[١] لكافّة العوالم العلويّة والسفليّة ترتيبها[٢] اللّائق بها، وأحسن كلّ خلق ترتيبا، وهي مظهر للمشيئة الإلهيّة[٣] كالعقل مرآة العلوم والحقائق الإلهيّة، ووجه تكثرها مع التوحّد كثرة قواها وأفاعيلها مع وحدة ذاتها وتأحّدها بتلك القوى، أو لكثرة النفوس المُتشعّبة عنها مع بساطتها بحيث هي مع تلك الشعب الكثيرة شيء واحدعلى ما يراه الأماجد[٤] أو لكثرة سيرها في المراتب النزوليّة والصعوديّة وتفنّن ظهوراتها في السلسلة

وأكرم أُمناء الشريعة، ولكن ماذكرنا مع قصور النظر وعمى القلب والبصر بمقام السير العلمي أليق وبحضرة الكبرياء ألصق، اللّهمّ افتح قلبنا بنور المعرفة واليقين، واسلكنا في الطريق المُستقيم والصراط المُستبين بحقّ محمّد وآله المعصومين وصلوات اللّه عليهم أجمعين.

ولك أن تجعل السرّ الذي ذكره ذلك العارف ـ قدّس سرّه ـ للتعبير عن العقل بالواحد وعن النفس المتكثّر وجه التعبير عن المشيّة المُطلقة بالواحد وعن الموجود العقلي بالمُتكثر مع رفض مالايليق بمقامهما وترك ماهو غير جائز الانتساب إليهما، ولايحتاج إلى البسط والتفصيل ولاإقامة البرهان والدليل بعد النظر إلى ماذكرنا والرجوع بما أفدنا.

قوله: النزوليّة والصعوديّة... إلى آخره.

لايخفى أنّ هذا بعينه موجود في العقل أيضاً، بل العقل أحقّ من النفس في ذلك وكثرة ظهوره في المراتب الصعوديّة والنزوليّة، فإنّ جميع مراتب الوجود تعيّنات ظهوره وتشعّبات حقيقته، فلاتغفل.

---

١ ـ في نسخة «ل»: المربية.

٢ ـ في نسخة «ل»: تربيتها.

٣ ـ في نسخة «ر»: الربانية.

٤ ـ الأسفار ٨: ٢٢١ وما بعدها، منظومة السبزواري: ٣١٤.

البدويّة والعوديّة إلى أن تتأحّد مع العقل الّذي هو أصلها ومنه بدؤها وإليه عودها.

إيماض:

وأمّا وجه التعبير عن العقل بالواحد المُتكثّر وعن النفس بالمُتكثّر المُتوحّد؛ فلأنّ العقل أقرب إلى مرتبة الأحدية[1] الحقّة من حيث الصدور، وأدنى من كبرياء التفرّد والوحدانيّة من جهة الظهور، بل هو عبارة عن المرتبة الواحديّة المتاخمة لمرتبة الأحديّة.

وبعبارة أُخرى: هو عالم الأسماء والصفات الإلهيّة باصطلاح علماء الطريقة[2] مع مُعاضدة تلويحات الأخبار المعصوميّة[3] فالأصل فيه الوحدة، وإنّما التكثّر باعتبار الإحاطة وبحسب الاشتمال على جميع معقولات الأشياء، والاحتواء بقاطبة حقائق الأسماء وعندنا هذا تكثّر بالعرض وليس هذا تكثر بالحقيقة؛ لأنّ ما يعرض لاحكم له في العلوم فكيف بالعرض لما بالعرض، وأمّا النفس فلمّا كانت معلولة من معلول فليست تقرب من موطن الوحدة قرب العقل منه، فلاتكون بمثل تلك المثابة، بل هي أنزل منه في المرتبة، وأيضاً لّما كانت النفس تفعل بالمادّة وهي ممّا يلزمها الكثرة والقسمة، وكذلك تفعل بالقوى والآلات المتضمّنة[4] وتلك القوى منشأ الكثرة وإن كانت بالاعتبار والحيثيّة، فمن ذلك يعرضها الكثرة والعدّة، وإنّما التوحد باعتبار ماسترجع هي إليه في سير الأنوار من العقل الكلّي الّذي صدرت منه.

---

١ ـ في نسخة «ل»: الوحدانية، وفي نسخة «ر»: الوحدانية المحضة بدل: الأحدية.

٢ ـ شرح فصوص الحكم للقيصري: ١١.

٣ ـ بحارالأنوار ١:٩٦/ باب ٢.

٤ ـ يحتمل أنها المتفننة، أو المتقنة.

إيقاظ:

وأمّا سرّ التعبير عن العقل بالواحد وعن النفس بالمتوحّد، فهو أنَّ العقل واحد وحدة حقيقيّة جمعيّة ذاتيّة؛ لأنّه صدر عن الواحد الحقّ المحض بالوحدة الغير العدديّة الّتي هي مبدأ الوحدة العدديّة بأقسامها، ومن البيّن في المقامات البرهانية أن لاخصوصيّة لشيء دون شيء في الصدور عن الحقّ تعالى شأنه، وإلاّ لزم أن يكون فيه سبحانه جهة وجهة وحيث وحيث، وقد ثبت أيضاً بالقواطع البرهانيّة أن ليس فيه جهة وجهة ولاحيث وحيث من جميع الجهات من دون تكثّر جهة ولا تعدّد اعتبار، وأنَّه لايختلف نسبته عزّ شأنه بالقرب والبعد عن الأشياء، وأنَّ ذلك من المُقرّر عند العُقلاء[١] والمتظافر في أخبار الأنبياء والأولياء، حيث هي ناصّة بأنَّ نسبته تعالى في القرب والبعد سواء لم يقرب منه قريب ولم يبعد منه بعيد إلى غير ذلك[٢] كما لايخفى على المُتتبع للآثار والأخبار.

ثمَّ إنَّه ممّا قد فرغ عنه في الحكمة المُتعالية أنَّ الواحد لايصدر عنه من جهة واحدة إلاّ الواحد[٣] بل ذلك عند النظر العرفاني بديهيّ عاضده الكلم الفرقاني، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾[٤] وفي الأخبار ما يكاد يتواتر بالمعنى أنَّ اللّه جلّ مجده خلق أوّلاً أمراً واحداً، أيّ شيء كان على اختلاف التعبيرات، ثمَّ خلق منه الأشياء[٥] وذلك كالصريح فيما ادّعيناه.

ثمَّ من المُستبين أيضاً أنَّه ليس شيء حريّاً بالصدور عنه تعالى إلاّ العقل؛

---

١ ـ الأسفار ٦:١٠٣ و ١٤٠ و ١٤٢.

٢ ـ أُصول الكافي ١:٩٧/١ و ٨/٩٩.

٣ ـ الأسفار ٧:٢٠٤.

٤ ـ القمر: ٥٠.

٥ ـ أُصول الكافي ١:١١٠/٤، التوحيد للصدوق: ٦٦ ـ ٢٠/٦٧ و ٨/٣٣٩.

إذ النفس فعلها في المادّة، فلا تكون المادّة فعلاً لها ولا هي تسبقها، وكذا المادّة؛ إذ لايتأتى منها أصلاً، والصورة إنّما وجودها بالمادّة، فكيف تكون فاعلة لها؟! والجسم مُتأخّر عن المادّة والصورة، فلايكون شيء منها بأوّل صادر عن المبدأ، فبقي أن يكون العقل هو الصادر الأوّل، فلو لم يكن العقل كلّ الأشياء يلزم من صدوره عنه تعالى أن يكون له سبحانه جهة خصوصيّة بالنسبة إليه دون ماسواه، وقد استحال ذلك كما قلنا فوجب من ذلك بالضرورة أن يكون هو كلّ الأشياء.

وهذا برهان شريف على وحدة العقل مع تكثّره بوجهٍ ما، وقد تفرّدت بفهمه عن اللّه تعالى، إلاّ أنّي بعد ذلك وجدت في كلام المُعلّم الأوّل مايمكن أن يرجع إلى هذا، وهو قوله في اثولوجيا بعد سؤال وكلام: فلمّا كان ـ أي المبدأ الأوّل ـ واحداً محضاً انبجست منه الأشياء[1] انتهى.

وبالجملة: ليس الكثرة التي نقولها في العقل كالكثرة التي هناك، حاشاه من ذلك، بل هو في كمال البساطة وأجمع الجمعيّة وأشدّ الوحدانيّة، وإنّما الكثرة ليست في ذات العقل، بل كثرة بعد الذات، وأمّا البارئ القيّوم فلاكثرة عنده أصلاً لافي الذات ولا مع الذات ولا بعد الذات وذلك من

قوله: انبجست منه الأشياء...

وقد عرفت معنى كلامه في أوّل الرسالة عند قوله: انبجست منه الكثرات بجملتها لوحدته.

قوله: وأمّا البارئ القيّوم فلاكثرة عنده أصلاً... إلى آخره.

وأمّا التكثّر الأسمائي والصفاتي والتكثّر الواقع في صور الأسماء أي الأعيان

---

١ ـ أُثولوجيا إفلوطين: ١٤٣.

الثابتة فليس تكثّراً حقيقياً وجودياً، بل التكثّر إمّا باعتبار معانٍ معقولة في غيب الوجود التي هي مفاتيح الغيب ويتعيّن به شؤوناته وتجلّياته، فهي في الحقيقة موجودة في العقل غير موجودة في العين، أو يرجع إلى العلم الذاتي؛ لأنّ علمه تعالى ذاته بذاته أوجب العلم بكمالات ذاته في مرتبة أحديّته، ثمّ المحبّة الإلهيّة اقتضت ظهور الذات لكلّ منها على انفرادها متعيّناً في حضرته العلميّة ثمّ العينيّة، فحصل التكثّر فيها، كذا قال بعض الأعلام نقلته مُلخّصاً[1].

أو التكثّر يرجع إلى التكثّر بحسب مراتب السلوك؛ فإنّ السالك في أوّل سيره يتأحد عنده المتكثّرات، ويلبس لباس الإطلاق على التعيّنات، ويستهلك المُتفرّقات في حقيقة جمعيّة، وينفي المتخالفات في ذاتٍ أحديّة، فعلاً كان أو أثراً، صفةً كان أو ذاتاً، فرجع الكلّ إلى أصلٍ واحد والجلّ إلى جذر فارد.

وفي أواخر هذا السلوك يلاقي الأعيان الثابتة وصور الأسماء الإلهيّة فيفنيها ويستهلكها في الذات ذي الصورة، إلى أن يرحل راحلته إلى الحضرة الأسماء الإلهيّة، ويُنيخ راويته إلى باب أبواب الربوبيّة،فيرى الكثرة الأسمائيّة أوّل كثرة وقعت في دار الوجود، ومنها نشأت الكثرات في الغيب والشهود، فيستهلكها في الذات الأحد الفرد الصمد، فيتجلّى عليه حضرة الواحد القهّار لاشريك له في الذات والصفات والآثار والأفعال، فيستهلك عنده بقوّة السلوك هذه الأسماء في الهويّة الغيبيّة، فلايبقى من الكثرة عين ولاأثر، ولامن السالك اسم ولاخبر، فيترنّم لسان حاله وقاله بلسان الحقّ المُتعال، ويقول: ياهو يامن هو يا من لاهو إلاّ هو.

كلّ ذلك بشرط رفض الأنانيّة وعدم بقاء جهات النفسانيّة، وإلاّ فمع بقائها ولو

---

١ ـ أُنظر تعليقة الإمام على الفصوص: ٢٤ و ٢٥.

يسيراً يتجلّى عليه في بعض مراحل السلوك عينه الثابت، فيرى لنفسه بهجةً وبهاءً وقوّةً وسلطنةً بل الربوبيّة والألوهيّة فتصدر عنه الشطحيات كقول بعضهم: ماأعظم شأني[١] وقول بعضهم: ليس في جبّتي سوى اللّه[٢] كلّ ذلك لنقصان السالك وبقاء الأنانيّة.

قال شيخنا العارف الكامل الأُستاذ الشاه آبادي أدام اللّه ظلّه: إنّ أكثر نشر العقائد الباطلة والأديان الغير الحقّة كان بدو انتشارها من المرتاضين وأهل السلوك الذين هم كانوا ناقصين في السلوك وبقيت جهات نفسيّتهم، هذا.

وبالجملة: فالكثرة على ماتلونا عليك كثرة شهودي سلوكي لاكثرة علمي على مأفاد بعض الأعلام على ماعرفت آنفاً.

ومما ذكرنا يظهر مغزى قول ذلك العارف الشارح الجليل والشيخ الكامل النبيل: لاكثرة عنده تعالى لافي الذات ولامع الذات ولابعد الذات.

وإلى ذلك يرجع كلام مولانا وسيّدنا إمام الموحّدين والعارفين أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه وآله أجمعين: (**كمال التوحيد نفي الصفات عنه**)[٣].

وهذا مغزى كلام أهل البيت عليهم السلام: (**أنّه تعالى ذاتٌ علاّمةٌ سميعةٌ بصيرةٌ**)[٤] (علم كلّه قُدرةٌ كلّه)[٥] إلى غير ذلك.

وهذا مرجع قول بعض أهل المعرفة: إنّ الذات الأحديّة نائبة مناب كلّ الأسماء

---

١ ـ كسر الأصنام الجاهليّة لصدر المتألهين: ٣٢، تذكرة الأولياء للنيشابوري: ١٦٦ مشارق الدراري شرح تائية ابن الفارض: ١٥١ و٦٣٤.

٢ ـ وفيات الأعيان ٢: ١٤٠.

٣ ـ نهج البلاغة: الخطبة الأُولى.

٤ ـ أُصول الكافي ١: ٦٥/ ٦ و ١/٨٣ و ٢/٨٤، التوحيد للصدوق: ٢/١٣٩ و ٨/١٤٤.

٥ـ نسبه صدر المتألهين إلى الفارابي، الأسفار ٦: ١٢١.

علم الراسخين، فتبصّر.

وأمّا النفس فلمّا كانت مُتكثّرة القوى متفننة الأفاعيل من حيث شأنها، مُختلفة الأطوار بحسب نزولها وصعودها، وهي أيضاً مبدأ الاثنين ومنها ظهرت الاثنينيّة، كما أُشير إليه في الحكمة القديمة من أنَّ النفس عدد مُتحرّك والعقل عدد ساكن[١] فالكثرة فيها مع الذات لا في الذات، والوحدة فيها باعتبار أصلها ومن جهته تأحّدها[٢] في انتهاء سيرها ورجوعها إلى أصلها كمابيّنّا.

تبيان:

وممّا يؤكد ما أصّلنا ويؤيّد ما أسّسنا ماروي عن أميرالمؤمنين صلوات اللّه عليه أنَّه سأله أعرابيّ عن النفس، فقال عليه السلام له: **(عن أيّ الأنفس تسأل)**

والصفات[٣] لاعلى زعم المُعتزلة على ماحُكي عنهم[٤] فاعرف هذا فإنّه باب واسع ينفتح منه أبواب كثيرة، وقد أشرنا إلى لمحة منها في شرح بعض الأدعية[٥].

قوله: سأله أعرابيّ عن النفس... إلى آخره.

في هذا الخبر الشريف أسرار غريبة أشار إلى بعض منها ذلك العارف الكامل رضي اللّه عنه، ونحن نُشير إلى لمحة منها بطريق الإجمال بعون اللّه المُتعال، ويبقى الآخر تحت الأستار، ولعلّه يكشف على قلب أهله ولي الأسرار، فنقول:

في إفراد القوّة في المواطن الأربعة إشارة خفيّة على ماهو التحقيق عند أصحاب

---

١ ـ أُنظر الشفاء: ١٤ الفصل الثاني من المقالة الأُولى من الفن السادس في النفس، والأسفار ٨:٢٤٤.

٢ ـ في نسخة «ل»: جهة حدها بالعقل بدل: جهته تأحدها.

٣ ـ شرح المنظومة (قسم الفلسفة): ١٦١.

٤ ـ توضيح الملل ١: ٧٠، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي: ٢٧.

٥ ـ شرح دعاء السحر ٧٩: في ذيل قوله «اللهم إني أسألك من أسمائك بأكبرها».

الحكمة والعرفان وأرباب الطريقة والبرهان من أنّ القوى المتشتّة النباتيّة والحيوانيّة والإنسانيّة ـ مع تشتّتها وكثرتها وتفرّقها بتفرّق محالّها ـ تجمعها حقيقة واحدة وكلمة فاردة[1] هذه الكثرات سدنتها، وهذه المتفرّقات خدمها وحشمها، كما صرّح بذلك في حديث كُميل بن زياد الآتي حيث قال عليه السلام في كلّ من النفوس الأربعة أنّ «له خمس قوىً وخاصّيّتان» وإن كانت النفوس الأربعة لها أحكام مُختلفة، ولسدنتها وحشمها وجودات مُتفاوتة في الشدّة والضّعف، وفي بعضها كانت القوى والسدنة مُتّحدة الوجود مع النفس حدّاً ومرتبة وليست مُتكثّرة مُتشتّتة، وليس هذا مقام تفصيلها وبسطها.

وأشار عليه السلام بقوله: «أصلها الطباع الأربع» إلى ما حُقّق عند المُحقّقين من الحُكماء العظام أنّ النفس جسمانيّة الحدوث وطلوعها يكون من المادّة الجسمانيّة وإن كانت بعضها روحانيّة البقاء[2].

وأمّا قوله عليه السلام في النفس النباتيّة: «أصلها الطباع الأربع» وفي النفس الحيوانية: «أصلها الأفلاك» وفي النفس الكليّة: «أصلها العقل» وعدم التعرّض لأصل النفس النطقيّة فللإشارة إلى أنّ المادّة التي تفيض عليها النفس النباتيّة مادّة كدرة غير صافية، بخلاف النفس الحيوانيّة فإنّ مادّتها من جنس الأفلاك لها صفاء وخلوّ عن كدورات تلك المادّة الموجودة عندنا، وأنّ النفس الكليّة الإلهيّة وإن كانت طليعة وجودها من مادّة صافية في كمال النقاوة إلاّ أنّ هذه النفس لكمال روحانيّتها وعلوّ شأنها قريبة الأفق بعالم المجرّدات وقطّان عالم الجبروت، فهي مُلحقة بالآباء العلويّة والجهات الفاعليّة، لاالأُمّهات السفليّة والحيثيّات القابليّة، حتّى ثبت عند أصحاب

١ ـ الأسفار ٨: ٢٢١.

٢ ـ الأسفار ٨: ٣٤٧، الشواهد الربوبية: ٢٢١.

الكشف النوري أنّ الأنوار الإسفهبدّية[١] ماهيّاتها إنّياتها، وأهل يثرب الإنسانيّة لامقام معلوم له ولاحدّ محدود عنده[٢].

وعدم التعرّض لأصل النفس الناطقة القُدسيّة فلعلّه لإلحاقها بالنفس الكليّة؛ ولهذا قال في كل واحدٍ منهما: إنّها قوّة لاهوتيّة، ويمكن أن يكون في قوله عليه السلام: «مقرّها العلوم الحقيقيّة» بالبيان الذي ذكره ذلك العارف العظيم، مع قوله عليه السلام: «موادّ التأييدات العقليّة» إشارة خفيّة إلى أنّ أصلها العقل كما لايخفى على ذوي السابقة الحسنى.

وفي قوله: «أصلها الطباع الأربع» إشارة خفيّة إلى ردّ من زعم أنّ النفس هي المزاج[٣] كما أنّ في عدّة مواضع منه إشارة ظاهرة إلى ذلك كما لايخفى.

وأشار عليه السلام بقوله: «عادت إلى مابدأت منه» إلى الكينونة السابقة التي لها في النشآت السابقة والعوالم العقليّة كما هو رأي أفلاطون الإلهي[٤] وأشرنا سابقاً إلى الخلاف الذي بينه وبين مُفيد الصناعة الحكميّة، وفيه أيضاً إشارة إلى أنّ مابدأت الأشياء منه عين ماانتهت إليه.

ويُحتمل أن يكون قوله: «عود ممازجة لاعود مجاورة» إشارة إلى ماهو المُحقّق عند بعض أساطين الحكمة[٥] أنّ القوى المُنغمرة في المادّة مالم تتجرّد تجرّد الخيال معادها يكون بالاتصال إلى العالم العقلي اتّصال الماء الذي في الكيزان على شاطئ البحر إذا انكسرت الكيزان واتّصل الماء بالبحر، بخلاف القوى المجرّدة تجرّداً خياليّاً

١ ـ المراد بها النفس الناطقة، اُنظر مجموعة مصنفات شيخ الإشراق ٢: ١٤٧.

٢ ـ الأسفار ٨: ٣٤٢.

٣ ـ بحار الأنوار ٥٨: ٧٧، الأسفار ٨: ٢٤٤.

٤ ـ الأسفار ٨: ٣٣٠ الهامش الأول و ٣٣١.

٥ ـ الفتوحات المكية ٣: ١٢، الأسفار ٩: ٢٥٢ ومابعدها.

والنفوس القُدسيّة النطقيّة فإنّ رجوعها إلى عوالم الروحانيّات مع بقاء فعليّاتها التجرديّة، وعندنا كلّ العوالم الوجوديّة من المراتب الغيبيّة والشهوديّة مرجعها إلى الإطلاق الوجودي والعدم المحض عند طلوع شمس الحقيقة وبروز سلطنة الوحدانيّة والمالكيّة المُطلقة، فإنّ مقام المالكيّة مقام قبض الوجود، كما أنّ مقام الرحمانيّة والرحيميّة مقام بسطه وبسط كماله.

وهذا الّذي ذكره ذلك الحكيم المتألّه غير ماذكرنا؛ فإنّ كلامه في مقام وكلامنا في مقام، وإلى ماذكرنا أشار العارف الحكيم المولوي في نظمه المثنوي بقوله بعد عدّة أشعار في مراتب السير إلى النشآت المتتالية والعوالم الوجوديّة

پس عدم گردم عدم چون ارغون گويدم كأنّا إليه راجعون [1]

وهذا من الأسرار فاحتفظ به ودعه يبقى تحت الأستار، ولاتذعه على أهل هذه الدار، فإنّهم من الأغيار، وببالي أنّي رأيت في سالف الزمان في «الكافي» الشريف مبلغ أسرار أهل الذكر والقرآن أنّ بعض نفوس المستضعفين من الإنسان يبطل ويهلك عند عروض الموت على الأبدان[2] وصرّح ذلك الحكيم المتألّه المتقدّم ذكره في بعض كتبه ـ على مابيالي ـ بذلك المقال[3] كما أنّه صرّح بأنّ مرجع الحركة والزمان وأشباههما إلى الهلاك والاضمحلال[4] وإن كان ذلك العارف الكامل الشارح عارضه وردّ عليه ونسبه إلى الغفلة والمُناقضة في الكلام، وعندي وجه جمع بين الرأيين بحيث يرتفع الجدال من البين، وليس في هذا المختصر مقام البسط والتفصيل

---

١ ـ مثنوي مولوي، الدفتر الثالث، البيت: ٣٩٠٦.

٢ ـ أُنظر الكافي ٣: ٢٣٥ باب المسألة في القبر.

٣ ـ الأسفار ٨:٣٧٥ و ٣٧٦، الشواهد الربوبية: ٢٢٤ و ٢٢٥، مفاتيح الغيب: ٥٥١ و ٥٥٢.

٤ ـ الأسفار ٩:٢٦٣ و ٢٦٤.

عسى اللّه أن يوفّقنا لإفراد رسالة فيه إنّه هادي السبيل.

وفي قوله عليه السلام: «جوهرة بسيطة» إشارة بطريق اللّم إلى أنّ النفس الكليّة الإلهيّة كلّ الأشياء بنحو الوحدة والجمعيّة، كما أنّ في قوله عليه السلام: «حيّة بالذات» أيضاً إشارة لميّة إلى بقائها وعدم فنائها.

وقوله: «وعودتها إليه» وقوله: «وإليها تعود» مع كون الميعاد إلى ربّ العباد، فهو إمّا مبنيّ على أنّ العود إلى كلّ واحد منها هو العود إليه تعالى، بل التوجّه إلى كلّ موجود هو التوجّه إلى اللّه تعالى **﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**[١] وورد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: **(لو دُلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبطتم على اللّه)**[٢] وهذا من علم الراسخين والمتدبّرين في كلام الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وإمّا مبنيّ على ماهو التحقيق عندنا من أنّ عود الموجودات إلى اللّه تعالى بتوسّط الولي المُطلق صاحب النفس الكليّة الإلهيّة وواجد مرتبة العقل، وأنّ الموجودات بمنزلة القوى والآلات والمتفرّعات من وجود الإنسان الكامل، فكما أنّ بدو إيجادها من الحضرة الغيب بتوسّط ربّ الإنسان الكامل، وفي الحضرة الشهادة بتوسّط نفس الإنسان الكامل، كذلك عودها وختمها، ولهذا كانت استقامة الأُمّة استقامة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وورد منه صلّى اللّه عليه وآله عند قوله تعالى - في سورة هود -: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾**[٣] **(شيّبتني سورة هود)**[٤] لمكان هذه الآية، وإلاّ فهو صلّى اللّه عليه وآله بوجوده المقدّس ميزان الاستقامة.

---

١ - البقرة: ١١٥.

٢ - العلل المتناهية لابن الجوزي ١:١٣، ٢:١٤، الدرالمنثور ٦:١٧٠، علم اليقين ١:٥٤.

٣ - هود: ١١٢.

٤ - مجمع البيان ٥: ٣٠٤، الكشاف ٢: ٤٣٣، تفسير البيضاوي ١: ٤٧٣.

فقال: يا مولاي هل النفس أنفس عديدة؟

فقال عليه السلام **(نفس نامية نباتيّة، وحسيّة حيوانيّة، وناطقة قدسيّة، وإلهيّة كليّة ملكوتيّة).**

قال: يا مولاي ما النباتيّة؟

قال عليه السلام: **(قوة أصلها الطبائع، بدء إيجادها عند مسقط النطفة، مقرّها الكبد، مادتها من لطائف الأغذيّة، فعلها النموّ والزيادة، وسبب فراقها اختلاف المتولّدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لاعود مجاورة).**

فقال: ما النفس الحيوانيّة؟

قال عليه السلام **(قوّة فلكيّة وحرارة غريزيّة أصلها الأفلاك، بدء إيجادها عند الولادة الجسمانيّة، فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الأموال، والشهوات الدنيويّة، مقرّها القلب، وسبب فراقها اختلاف المتولّدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لاعود مجاورة فتعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها فيضمحل تركبها).**

فقال: ما النفس الناطقة القدسيّة؟

قال عليه السلام: **(قوّة لاهوتية، بدء إيجادها عند الولادة الدنيويّة، مقرّها العلوم**

وورد في بعض الأدعية عند الدعاء لبقيّة اللّه في الأرضين وحجّة اللّه على العالمين صاحب الأمر صلوات اللّه عليه وأرواحنا له الفداء بقوله: **(أمناً يعبُدك لايُشرك بك شيئاً)**[1] مع كونه روحي له الفداء خالصاً عن أنحاء الشرك فعلاً وصفةً وذاتاً، فشرك الأُمّة وعبادتهم يعدّ منه، لكونه الأصل وسائر الناس من فروعه.

وهاهنا أسرار ورموز نتركها خوفاً من أبناء الزمان والإطالة في البيان، فإيّاك أن تفشو هذه الأسرار عند أهل هذه الديار.

---

١ ـ مصباح المتهجد: ٥٢٣.

الحقيقية الذهنيّة، موادّها التأييدات العقليّة، فعلها المعارف الربانيّة، سبب فراقها تحلّل الآلات الجسمانية، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مُجاورة لاعود مُمازجة).

فقال: ما النفس اللاهوتيه الملكوتيّة؟

فقال عليه السلام: **(قوّة لاهوتيّة، وجوهرة بسيطة، حيّة بالذات أصلها العقل منه بدأت وعنه دعت، وإليه دلّت وأشارت، وعودتها إليه إذا كملت وشابهت، ومنها بدت الموجودات وإليها تعود بالكمال، فهي ذات العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنّة المأوى، من عرفها لم يشق أبداً، ومن جهلها ضلّ وغوى).**

فقال السائل: ما العقل؟

قال عليه السلام: **(جوهر درّاك محيط بالأشياء من جميع جهاتها، عارف بالشيء قبل كونه، فهو علّة للموجودات ونهاية المطالب)**[1]. صدق وليّ اللّه.

تبيين

حاشاي أن اجترىء على تفسير هذا الخبر، ونشر الأسرار الّتي في ذلك الأثر، لكنّ التعرض لتنقيح دلالات بعض الألفاظ لأجل التنبيه والإيقاظ.

فقوله في النفس الحيوانيّة: «بدء إيجادها عند الولادة الجسمانيّة» لعلّه أراد بالولادة الجسمانيّة هي تماميّة جسم الجنين في الرحم مُستعدّاً لظهور تلك القوّة، وهي في الحقيقة تولد بتكون الأعضاءِ والقوى الحيوانيّة عندها، فيقبل ويستعدّ لإفاضة الروح الحيواني وظهوره من مكامن أستار الجسم الظلماني، وهو صفوة الحرارة الغريزيّة التي فاضت من الكواكب، وهي من جنس الأجرام العلويّة كما هو مذهب أرسطو ومن تابعه[2]. وإنّما عبّر عن هذه الإفاضة التي تكون بعد مُضي أربعة أشهر من مسقط النطفة بالولادة لأنّها

١ ـ كلمات مكنونة للفيض الكاشاني: ٧٦.

٢ ـ الشفاء: ٤٠٣ الفصل الأول من المقالة السادسة عشر من الطبيعيات.

مبدأ ولادة الحيوان، ولا تستعمل الولادة في غير الحيوان.

قوله في النفس الناطقة: «بدء إيجادها عند الولادة الدنيويّة» أراد بها نزول المولود من الرحم عند المخاض، وقد عرفت أنّ هناك ابتداء ظهور العقل الهيولاني.

قوله: «ومقرّها العلوم الحقيقية» معناه من المُعضلات عند العُقلاء؛ إذ الظاهر الثابت عند الجمهور عكس ذلك؛ لأنّ النفس محلّ للصور العقليّة عندهم[١].

أقول: وإنّما يتيسّر فهم ذلك بعد رفض ما في أيدي الظاهريين من الحكماء بأصلين شريفين برهانيّين عند بعض عباد اللّه المساكين:

أحدهما: أنّ التعقّل ليس كما زعمه أتباع المشائين[٢] ولا ما تراه أشياع الإشراقيّين من القول بالحصول أو الحضور[٣] أو غيرهما من مذهب أرباب الفضول[٤] بل التعقل إنّما هو برجوع النفس إلى ذاتها العقليّة التي هي من تلك الجهة على ما حقّقنا في بعض رسائلنا كلّ الأشياء.

وبعبارة: بوقوعها على بواطن الأشياء المُندمجة[٥] في ذاتها، كما أنّ إدراكها للمحسوسات إنّما هو بطلوعها وشروقها من أُفق القوى، وإشراقها من شرف الآلات وشبابك الأدوات وروازن الحواسّ ورواشن هؤلاء الجواس، وبوقوعها على ظواهر الأجرام وسطوح الأجسام، وأنّها تفعل هذين الأمرين ـ أي التعقل والإحساس ـ بقوة واحدة هي نفس ذاتها، وإنّما التكثّر وقع في الآلات لوقوعها في مواطن الكثرة والانقسامات، نظير ذلك

---

١ ـ الأسفار ٨: ٢٩٠ و ٧: ٢٧٥.

٢ ـ الأسفار ٣: ٢٨٤، الإشارات والتنبيهات ٢: ٣٠٨.

٣ ـ مجموعة مصنفات شيخ الإشراق ١: ٤٧٤ و ٢: ١١٤.

٤ ـ تلخيص المحصل المعروف بنقد المحصل: ١٥٥، شرح المقاصد ٢: ٢٩٩، المباحث المشرقية ١: ٣٣١.

٥ ـ في نسخة «ر» و «ل»: المندرجة بدل: المندمجة.

هذه الشمس المُضيئة وشروقها من الكوى العديدة مع وحدتها العدديّة.

وثانيهما: أنَّ العلم لايكون إلاّ بالاتّحاد بناءً على ماقلنا من كون النفس كل الأشياء على نحو يعرفه العرفاء.

فعلى هذين الأصلين يصحّ كون العلوم الحقيقيّة محلاً للنفس الكلّيّة ومقرّاً لها بالحقيقة؛ لأنّها لّما طلبت علم شيء ممّا في نفسها توجّهت الى ذاتها، وهي من حيث كونها طالبة غيرُها من حيث هي مطلوبة، فكأنّها طارت من القفص الجسماني فوقعت لامحالة على وكرها الأصلي الذي هو ذاتها العقلية[1] فصارت المعقولات من هذه الحيثيّة محلاً لها ومقرّاً لوجودها.

وأمّا كون مادة تلك النفس الشريفة هي التأييدات العقليّة، فلأنَّ النفس صادرة عن العقل، بل النفس عقل ظهر بصورة الشوق والمشيّة كما هو الحق، فعلى هذا لاريب أنَّ العقل هو الباطن والنفس هي الظاهرة: أمّا الأوّل فلأنَّ العلّة باطن المعلول، وأمّا على الثاني فظاهر لايخفى، فيكون العقل بمنزلة المادّة والنفس بمنزلة الصورة، وإنّما عبّر عن المادة بصيغة الجمع لأنَّ المدد العقلي يصل إلى النفس آناً فآناً، والإشراقات العقليّة تتنزل منه إليها دائماً، وإلاّ لم تبق هي قطعاً.

قوله: «عود مجاورة» وجه كون العود في الأوليين بطريق الممازجة وفي الثالثة بنحو المجاورة ولم يتعرض في الرابعة للعود أصلاً هو أنَّ السابقتين إنّما يتكوّنان من الأجسام اللطيفة على ما يظهر من الخبر، وهو عند أرباب العقول من المُقرّر، ولاريب أنَّ الجواهر يعتريها الفساد والبطلان بالكليّة،

---

١ - في نسخة «م»: بعض الغواشي فوقعت على ذكرها الأصلي الذي هو وجودها العقلي بدل: القفص الجسماني فوقعت لامحالة على وكرها الأصلي الذي هو ذاتها العقليّة. وفي نسخة «ل»: قصف الغواشي بدل: بعض الغواشي.

فحينما تتفرق أجزاء البدن تبطل الصور والكيفيّات ويتّصل جوهره إلى كليّة الأجرام.

وأمّا الثالثة: فلما كانت مجردة غير مقدّرة، فليس لها فساد ولا امتزاج، فيجب أن تعود حين المفارقة إلى الأصل الذي بدأت منه بطريق المُجاورة؛ لأنَّ المُجرّدات والأنوار القُدسيّة لها مقام معلوم لاتتخطّاه إلى غيره كما قال تعالى عنهم: **﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾**[1] وإن شئت زيادة الاستبصار في هذا المنهاج فاعتبر بحكاية المعراج وعدم تجاوز جبرئيل مقامه في سلوك السبيل[2].

وأمّا الرابعة: فلمّا لم يكن لها ولادة ولا يعتريها فساد فلا عود لها إلاّ بالكمال إلى العقل الّذي بدأت هي منه، بأن تصير عقلاً محضاً في اليوم الّذي برزت فيه البواطن، ورجعت الفروع إلى الأُصول الكوامن، وحشرت وحوش الجزئيّات المُتفرقة في بوادي الأمكنة وقوافل الأزمنة إلى أرض الكلّيات، وعادت المعلولات إلى عللها الثابتات.

وبالجملة: هذه النفس الرابعة هي التي نحن بصدد شرحها في هذا الخبر.

قوله: «منه بدأت» بالهمزة في النسخ بمعنى ابتدأت ونشأت، والظاهر أن يكون بغير همزة بمعنى ظهرت.

قوله: «وعنه دعت» أي تلك النفس الملكوتيّة عن جانب العقل دعت الأنفس إلى رضوان اللّه الأكبر حيث بعثها رسولاً إلى أُمَم النفوس والأشباح، يتلو عليهم آيات اللّه في المساء والصباح، من إحداث بديع وإظهار شوؤن في كلّ صنيع، وتزكيتهم بالتنقلات في الأحوال ليتحدّسوا

١ ـ الصافات: ١٦٤ و ١٦٥.

٢ ـ بحارالأنوار ١٨: ٣٦٤/ ٧٠.

بالرجوع إلى الكمال، ويعلّمهم كتاب اللّه الذي هو الحقائق الموجودة، وهي التصنيف الّذي كتبه بيده المُقدّسة؛ حيث أوجد تلك الحقائق بيده التي هي تلك النفوس الشريفة، وتريهم حقائق تلك الأشياء بالإلهامات الربانيّة، وتدعوهم إلى عالم الغيب والشهادة.

وأمّا قوله: «ومنها بدت الموجودات» فعلى الناقص لا المهموز بمعنى ظهرت، وفي التعبير عن صدور النفس عن العقل بالمهموز أي الابتداء، وعن صدور الموجودات عن النفس بالناقص أي الظهور، سرٌّ لطيف أظنّه لايعرفه كلّ عريّف، وهو أنَّ صدور النفس عن العقل ليس بأن تكون هي مندمجة فيه ثم ظهرت منه، بل هي هو شائياً بمشيّة اللّه كونه مصدراً لجميع ماتحته، فظهور النفس من العقل، بل ظهور الكلّ منه ابتدائيّ لايسبقه أثر من النفس؛ إذ العقل كما حقّقنا هو النفس الباطنة والنفس هي العقل الظاهر، لا أنّهما موجودان مُتباينان اتّصف أحدهما بالظهور والآخر بالبطون، بل النفس هي العقل الظاهر بصورة الشوق والبارز بصفة المشيّة والنور لإظهار الجواهر العقليّة المودعة فيه.

وأمّا الموجودات الصادرة من النفس وهي أنوار عقليّة وجواهر روحانيّة مُندمجة في العقل، فالنفس موجودة بالوجود العقلي المُتأحّد بالعقل، كما أومأنا إليه آنفاً، فصدورها عن النفس ليس ابتدائيّاً، بل ظهور بعد بطون وبروز غبّ كمون، حيث ابتدأت من البارئ الأوّل في العقل ثمّ ظهرت في النّفس العقليّة، فقاطبة الحقائق بالنظر إلى البارئ القيّوم ابتدائيّة، وبقياس بعضها إلى

قوله: بالنظر إلى البارئ القيّوم ابتدائي... إلى آخره.

ماحقق ذلك العارف الكامل رضي اللّه عنه حقّ مُحقّق لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه كيف؟! وهو جلّ برهانه قائم على كلّ النفوس بما كسبت وليس

بينه وبين خلقه حجاب مسدول ولاحدّ مفصول، و﴿**مامن دابّةٍ إلاّ هو آخذ بناصيتها**﴾[١] والأخذ بالناصية هو القيمومية المطلقة، فهو تعالى بهويّته المطلقة آخذ بالنواصي، ومامن موجود إلاّ وله ربط خاصّ مع خالقه، كيف؟! والوجود هو الربط إلى الحقّ المُتعال والتقوّم بالربّ ذي الجلال.

وأمّا الذي قرع سمعك من الطريقين من: (**أنّ للّه سبعة حجب أو سبعين حجاباً أو سبعمائة حجاب أو سبعين ألف حجاب من نور وظُلمة**)[٢] فإنّما هي سرادقات جلال الحقّ عن بصائر الخلق، وحجب وجه الشمس الظاهر عن تلك المسجونات خفافيش البصائر، فإنّ أصلها التعيّنات الخلقيّة، وليس المُقيّد محجوباً عن المُطلق وإن كان المطلق محجوباً عن المقيّد بالحجاب الذي هو القيد وأشار العارف الشيرازي إلى ماذكرنا بقوله:

تو خود حجاب خودى حافظ از ميان برخيز[٣].

وهاهنا أسرار لارخصة لإفشائها.

والحاصل: ماذكره ذلك العارف الجليل حقّ موافق لكشف أرباب الأذواق والطريقة ومُشاهدات أصحاب السلوك والحقيقة، وفقاً للبراهين الحكميّة[٤] والآيات القرآنيّة[٥] والآثار النبويّة[٦] لكن ماجعله التحقيق لكلام بعض أهل المعرفة في شؤون الموجودات مُخالف لظاهر كلامه، فإنّ الظاهر منه أنّ ذلك الحُكم لايختصّ بموجود من

١ ـ هود: ٥٦.

٢ ـ بحار الأنوار ٥٥: ٤٤/ ٩ ـ ١٢.

٣ ـ ديوان حافظ: ٣٠١ قسم الغزل.

٤ ـ الأسفار ٢: ٣٥٦.

٥ ـ الحديد: ٣.

٦ ـ أُصول الكافي ١: ١٠٨/٥ ـ ٦.

بعض اختلفت أحكامها بالابتداء.

وإلى الحكم الأوّل أُشير في زبور آل محمّد صلوات الله عليهم بقول مولانا السجّاد: «إذ كلّ نعمك ابتداء»[١].

وكأنّه أراد الحكم الثاني بعض المشايخ حيث قال في شأن الموجودات «هي شؤون يبديها لاشؤون يبتديها»[٢].

الموجودات ولاعالم من العوالم النازلات أو العاليات بل سارٍ في جميع مراتب الوجود من الأرواح العالية والنفوس الكليّة والموجودات النازلة، وهذا العارف الشارح خصّه بالموجودات النازلة عن مقام النفوس الكليّة والحكم في النفوس غير ماذكر.

وهذا مبنيّ على مازعم من أنّ النفس هو العقل الظاهر، والعقل هو النفس الباطن ليسا حقيقتين مُتباينتين، بخلاف سائر الموجودات. وعندي في ذلك نظر ظاهر ليس هاهنا مقام بسطه وتفصيله، والعمدة فيه هو تفكيكه بين الموجودات في ذلك.

والآن نطوي الكلام بذكر مراد العارف المذكور من كلامه في شأن الموجودات، ولعلّ نظره إلى بطونها في الذات الأحديّة وكونها في النشأة العلميّة كون ثبوت لاوجود، فإنّ العلّة باطن المعلول كما هو المُحقّق عند أهله[٣] وصرّح به ذلك العارف في كلامه وأشار إلى ذلك في الكتاب الإلهي بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَانُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٤] وفي الآثار الرضويّة عليه الصلاة والتحيّة قريب بذلك المضمون: «كلّ ماهنالك يعلم ممّا هاهنا»[٥]. واحتفظ بهذا وتبصّر.

---

١ ـ الصحيفة السجادية الجامعة: ٧٦.

٢ ـ أُصول المعارف للفيض الكاشاني: ٢٧.

٣ ـ الأسفار ٢: ٢٩٩.

٤ ـ الحجر: ٢١.

٥ ـ التوحيد للصدوق: ٤٣٨ مع اختلاف.

أي هذه الموجودات بالقياس إلى النفس الملكوتيّة التي وقعت في أُفق عالم الوجوب والإمكان وهي البرزخ الّذي بينهما لكي لايبغيان، فهي عقل من الجنّة العالية ونفس من الجنّة السافلة.

شؤون يبديها: أي يظهرها للنفس بعدما خفيت في ذاتها العقليّة وبطنت في جنبتها العالية، وليس ذلك ابتداء وجود تلك الأشياء، بل ابتداء وجودها في المرتبة العقليّة؛ حيث صدرت من بارئها القيّوم تعالى شأنه صدوراً عقليّاً جُمليّاً وحدانيّا مع العقل بالمعنى الّذي يعرفه الكمّل من أهل الإشراق[1] وليس غرض هذا العارف كما فهمه أكثر أرباب الأذواق، من أنَّ ذلك للموجودات بالنظر إلى مبدأ الكلّ تعالى كيف؟! وقد تقرّر في الأُصول العرفانيّة عند أهل العناية السابقة أنَّ الموجودات بقضّها وقضيضها وكلّياتها وجزئيّاتها وغابراتها وماضياتها بالنظر إلى اللّه جلّ برهانه صادرة في آنات وجودها ومراتب شهودها ابتداء، وليس لها بالنظر إليه عزّ شأنه إلاّ الظهور الابتدائي[2] لاغير كما يومئ بذلك ما في الأدعيّة السجاديّة، وقد مرّ واحد منها[3].

ولا أظنّ أنَّ هذا العارف أراد بذلك الّذي توهّم البعض؛ لأنّه أجلّ شأناً من أن يتوهّم ذلك فيه، لكن لايعرف هذا الّذي قلنا إلاّ من له قدم راسخ في التجريد، ومن اللّه العون والتأييد.

قوله: «ذات العليا» هكذا في النسخ الّتي عندنا، ويمكن أن يكون الموصوف مقدّراً؛ أي ذات الحقيقة العليا بمعنى صاحبتها، فيكون إشارة إلى

---

١ ـ مجموعة مصنفات شيخ الإشراق المجلّد الأوّل كتاب المشارع والمطارحات الفصل الثامن من المشرع السادس: ٤٥٠.

٢ ـ شرح فصوص الحكم للقيصري: ١٨ الفصل الثالث من المقدمة.

٣ ـ تقدم تخريجه.

الذات العقليّة الّتي للنفس، وإلى أنّ النفس عقل بالذات كما أنّ العقل نفس بالعرض.

قوله: «وشجرة طوبى وسدرة المنتهى» هما الحقيقة الإنسانيّة العقلية الّتي وصل نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله في معراجه إليها فتجاوز عنها وتخطّاها إلى ما شاء اللّه[١].

وفي الخبر: (لسدرة المُنتهى غصون وأوراق وجذر وفرع، فرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله جذرها، وعليّ عليه السلام فرعها، والأئمّة أغصانها، وشيعتهم أوراقها)[٢].

وفيه إشارة إلى أنّ هؤلاء هم الإنسان وغيرهم رعاع وأنعام بل هم أضلّ.

قوله: «محيط بالأشياء من جميع جهاتها» إشارة إلى الإحاطة العقليّة الّتي للعقل والاشتمال الجملي الّذي منه لكافّة الفرع والأصل، وقد عرفت البرهان على ذلك، ولنذكر هاهنا برهاناً على إحاطته من جميع جهات الأشياء حتّى يتصحّح من ذلك قول المعلّم الأوّل: أنّ للعقل شكلاً مُستديراً[٣] وكذا قول الحكيم «الغزنوي» قدّس سرّه في الفارسي.

آسمانهاست در ولايت جان　　　كار فرماى آسمان جهان

وخلاصة البرهان: أنّه قد ثبت في مقرّه أنّ العلّة محيطة بالمعلول، وأنّ الصادر الأوّل علّة لكلّ مادونه، فلو لم يكن مُحيطاً من جميع الجهات لزم أن يستغني عنه من الجهة الّتي لم تحط العلّة منها، وهذا خلف. فوجب أن تكون محيطة من جميع الجهات[٤].

---

١ ـ بحار الأنوار ١٨: ٣٢٨/٣٤.

٢ ـ بصائر الدرجات: ٥٨ ـ ٦١ باب ٢.

٣ ـ أُثولوجيا إفلوطين: ١٣٠.

٤ ـ الأسفار ٢: ٣٣١ و ٧: ٢٠٤، الشفاء: ٢: ٤٠٢ الفصل الرابع والخامس من المقالة التاسعة من الإلهيات، الإشارات والتنبيهات ٣: ٢٥٤، أُثولوجيا إفلوطين: ٩٦ و ١٨٥.

ولما كانت الحقائق العقليّة، بل كلّ حقيقة إمكانيّة فإنّها محدودة، أمّا الأجسام فظاهرة، وأمّا غيرها من الفواعل العوالي فأحد طرفيها بفاعلها والآخر بمعلولها، فجميع الأشكال العقليّة على الاستدارة الحقيقيّة، وأمّا اللّه سبحانه فلا حدّ له أصلاً حتّى يكون شيء ينتهي إلى حدّه أو ينتهي هو إلى حدّ شيء، بل تنتهي عنده الأشياء وحدودها؛ وذلك لأنّه مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لابمزايلة[1] وليس معه شيء أزلاً وأبداً، خلافاً لمن يزعم خلاف ذلك، فهو عزّ برهانه كالمركز، وقد صرّح أرسطو بأنّ المركز في الأشكال العقليّة بخلاف المركز في الأشكال الحسيّة؛ لأنه في الجسمانيّات تحيط به الدائرة، وفي الأشكال العقليّة هو محيط بها[2] وفهم ذلك عسير جدّاً، فالمركز هو الأصل، وبهذا كان في عالم الأجسام خلق الأرض متقدّماً على السماوات، وفي هذا الحديث الشريف أسرار كثيرة وعلوم عديدة: من بيان حقيقة النفوس الأربع، ومادية بعضها، وتجرّد بعض آخر، واتصال المُجرّد منها بالعقل، ومن حقيقة العقل، واشتماله على جميع الأشياء، وأنّه نهاية النهايات، وغير ذلك ممّا لايحصى ولاتنالها أيدي أفاضل الحكماء، فطوبى لمن غاص في بحارها، وخاض في أنوارها، والحمد للّه على منّه وفضله.

تشييد:

وعنه صلوات اللّه عليه على مانقل عنه شيخنا العارف بهاء الملّة والدّين مُحمّد العاملي قدس سرّه في مجموعته المُسمّى بالكشكول، عن كميل بن زياد قال: سألت مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام فقلت: يا أميرالمؤمنين، أُريد

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

٢ ـ أُثلوجيا إفلوطين: ٦٤.

أن تعرّفني نفسي؟

قال: **(يا كميل أي الأنفس تريد أن أعرفك)**.

قلت: يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة؟!

قال عليه السلام: **(يا كميل إنّما هي أربعة: النباتية النامية، والحسيّة الحيوانيّة، والناطقة القدسيّة، والكليّة الإلهيّة، ولكلّ من هذه خمس قوىً وخاصيّتان:**

فالنامية النباتيّة لها خمس قوىً: جاذبة وما سكة وهاضمة ودافعة ومربيّة، ولها خاصيّتان: الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد.

والحسية الحيوانيّة لها خمس قوىً: سمع وبصر وذوق ولمس وشمّ، ولها خاصيّتان: الرضا والغضب، وانبعاثها من القلب.

والناطقة القدسيّة لها خمس قوىً: فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة، وليس لها انبعاث، وهي أشبه الأشياء بالنفوس القدسيّة الملكيّة ولها خاصيّتان: النزاهة والحكمة.

والكليّة الإلهيّة لها خمس قوىً: بقاء في فناء، ونعيم في شقاء، وعزّ في ذلّ، وفقر في غناء، وصبر في بلاء، ولها خاصيّتان: الرضا والتسليم وهذه التّي مبادئها من اللّه وإليه تعود، قال اللّه تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[١] وقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٢] والعقل وسط الكلّ)[٣].

توضيح ما في ألفاظ هذا الخبر من الإبهام والإشكال:

إعلم أنَّ في استفهامه عليه السلام بأي الأنفس حينما سأله كميل عن تعريفه نفسه إيماءً لطيفاً إلى أنَّ هذه الأربع يمكن أن تحصل لسائر الناس، ولمّا استحال تعدّد النفوس لشخصٍ واحد ـ كما برهن عليه في موضعه، بل

---

١ ـ الحجر: ٢٩، و سورة ص: ٧٢.

٢ ـ الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.

٣ ـ كشكول البهائي ٢: ١٨٧.

ذلك قريب من البديهي لمن تجافى عن تعسفه ورجع إلى نفسه ـ فقد ظهر للمستبصر أنَّ تلك الأربع إنّما هي قشور، وألباب بعضها فوق بعض على نظام ونسق متّسق كما يشير إليه قوله سبحانه: **﴿لتركَبُنَّ طَبَقاً عن طَبَق﴾**[١] وإنّما التفاوت في الأنواع والأشخاص بظهور بعضها في نوع أو شخص وكمون بعضها فيه إلى حيث ينتهي في الشرف إلى شخص يظهر فيه الكلّ، وفي الخسيّة إلى آخر يبطل فيه القل والجلّ، كما قال سبحانه: **﴿تزهق أنفسُهُم﴾**[٢] وقال تعالى: **﴿فَأنساهُمْ أنفُسَهُم﴾**[٣] إلى غير ذلك من الآيات.

ومن أمارات التطابق المذكور كون الكلّ ذوات خمس قوى وخاصيّتين؛ فإنّ ذلك مُشعر بأنَّ كلّ لاحقة هي تنزّل السابقة، لكونها لما علمت إذا خطرت بالبال في عالمها ما يوجب سقوط جناحها الّذي تطير به في فسحة الجنان وقعت في شبكة تلك اللاّحقة، وهكذا إلى أن هبطت إلى الأرض السافلة، وأنَّ هذه اللاّحقة إذا ارتاضت بما يوجب ارتياشها، وتخلّصت من الذنوب الّتي أحاطت بها، من التعبّد بالأحكام الإلهيّة والتقلّد بالنواميس الربانيّة، طارت إلى وكرها الأصلي ورجعت إلى عالمها العلوي.

فلنشرع في تطبيق القوى في المراتب الأربع على الولاء.

فنقول: بالحريّ أن نذكر ذلك بين كلّ مُتجاورين ليظهر من ذلك انطباق الكل في البين، فاعلم أنّ الجذب يضاهي السمع؛ لأنَّ جذب الصماخ للصوت يصير سبب السماع، والإمساك يضاهي الإبصار بناءً على ما هو الحق عندنا من أنَّ الإبصار إنّما يكون في خارج باستيلاء نور النفوس على

---

١ ـ الانشقاق: ١٩.

٢ ـ التوبة: ٥٥.

٣ ـ الحشر: ١٩.

ظاهر الشيء المحسوس كأنّه يحفظه ويمسكه لتنال النفس منه ماتنال، وقد تقرّر أيضاً في مدارك أرباب الأذواق الإلهيّة أنّ إمساك السماوات والأرض وما فيهما إنّما يتسبّب عن الاسم البصير، ولذلك ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[١] أي على حفظي[٢] وقال تعالى: ﴿**مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾[٣].

والهضم يضاهي الذوق؛ لأنَّ تلك القوّة مبدأ مبادئ الهضم، وكذا الدفع يضاهي اللّمس؛ لأنَّ عمدة منافع اللّمس رفع المُنافر، وكذا التربية تضاهي الشمّ؛ لأن القوى الدماغيّة هي العمدة في التربية.

ثمّ البصر يحاذي الفكر؛ لأنَّ النظر أصل الفكر في عالم الكون، كما أنَّ الفكر أصل النظر في العالم العلوي، وكذا السمع يحاذي الذكر الّذي أُريد به قوّة الحفظ، وقد دريت أنَّ الجذب والحفظ من السمع، وكذا الذوق يحاذي العلم؛ لأنَّ العلم غذاء الروح، وكذا اللمس يحاذي الحلم؛ لأنَّ تلك القوّة إنّما شأنها تحمّل المشاقّ من توارد الحرّ والبرد، ولكونها مُتسبّبة عن لينة الأعصاب إلى مرتبة يتأتّى منها الإحساس اللمسي، وكذا الشمّ يحاذي النباهة الّتي هي طلب الشرف والرفعة؛ لأنّها تنشأ من الدماغ الذي هو معدن تلك القوّة.

ثمّ البقاء في الفناء إنّما يتحصّل من النظر والفكرة في الأشياء بأنّها لاشيئيّة لها إلاّ باللّه تعالى، والنعيم في الشقاء إنّما يكون بتذكر الحقائق المُنتزعة من الكائنات، وتصفية تلك الأنوار من كدورات الجسمانيّات، وكذا العزّ في الذلّ إنّما يتيسّر بالرياضات العلميّة، والفقر مع الغناء

---

١ ـ طه: ٣٩.

٢ ـ مجمع البيان ٧: ١٨، تفسير الفخر الرازي ٢٢: ٥٤.

٣ ـ الملك: ١٩.

إنّما يحصل بالحلم وتحمّل المشاقّ مع الاستغناء عن الناس، وكذا الصبر مع البلاء؛ لأنّ العزّة في أيّ موطن تراد إنّما تتأتى بالصبر على المصائب والبلاء.

إيضاح

المراد بالقوّة المربيّة في قوى النفس النباتيّة هي النامية، ولعلّ المُراد بالفكر في قوى الناطقة هي القوّة المُدركة أعمّ من أن تكون مدركة الصور أو المعاني، وبالذكر القوّة الحافظة كذلك، وبالعلم القوّة النظريّة، وبالحلم القوّة العمليّة[1] وبالنباهة القوّة الحدسيّة، ويمكن في الثلاثة الأُول أن تكون هي مراتب القوّة النظريّة وفي الأخيرتين كما ذكرنا.

وبالجملة: لاريب أنّ القوى إذا استعملت فيما يليق بها وفيما تخلق لأجلها يورث النزاهة والتجرّد من المواد، والتقدّس عن مذامّ الصفات والأخلاق على الوجه السداد، وينجي من الوقوع في شكوك الأهواء والتورّط في مضلاّت الآراء، ويوجب العلم بحقائق الأشياء والمعرفة بكيفيّة الترقيّ من المُسبّبات إلى أسبابها، بل يورث التحقّق بتلك الحقائق والتعلّق بهذه الرقائق كما قيل في مرتبة العقل بالفعل.

وأمّا قوى النفس الكليّة الإلهيّة، فاعلم أنّ كلمة «في» كلّما وردت في مثل هذه المواضع فهي للسببيّة، مثلها في قوله صلّى اللّه عليه وآله: **(إنّ امرأة دخلت النار في هرّة)**[2] فالبقاء الدائم لايمكن إلاّ بالفناء عن كلّ شيء حتّى عن الفناء[3] والنعيم الدائم لايحصل إلاّ بتحمّل المشاقّ ومقاسات الشدائد واستدامة هذا الذواق، وكذا العزّة الثابتة عندالله لاتنال إلاّ بالذّل بين

---

١ ـ في نسخة «ل»: العلمية.

٢ ـ مسند أحمد بن حنبل ٢:٥٠٧.

٣ ـ في نسخة «ل»: الغناء.

الناس ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً﴾[١] وكذا الافتقار الكلّي إلى الله لايحصل إلاّ بالإياس عن الناس، وإنّهم لايملكون ضرّاً ولانفعاً بالبرهان والقياس ودرجة الصابرين لايوصل إليها إلاّ بأن ﴿لاتَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم﴾[٢].

وفي قوله صلوات الله عليه: «والعقل وسط الكل» تصريح بأنّ هذه النفوس كالدوائر بالعقل، فهو بمنزلة المركز، غير أنّ المركز في الدوائر العقليّة هو المحيط بالدائرة بخلافه في الدوائر الجسمانية، ومن ذلك يظهر أيضاً أنّ الكلّ قشور لهذا اللّب، وأنّها مراتب تنزلات ذلك النور من شبّ إلى دبّ[٣].

وذكر الآيتين للاستشهاد على أنّ بدو هذه الأنفس من الله ذي الجلال والإكرام وإليه عودها بالكمال، فقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[٤] لبيان الابتداء، وقوله جلّ وعلا: ﴿يَا أَيَّتُهَا النفس الْمُطْمَئِنَّة ارْجَعي إِلَى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّة﴾[٥] لبيان الإعادة، فتبصّر.

قوله: دبّ إلى شبّ.

كذا في النُسخة التي عندنا، والظاهر أنّه من خطأ الناسخ، والصحيح من شبّ إلى دبّ؛ أي من الشباب إلى أن دبّ على العصا. قاموس[٦].

---

١ ـ القصص: ٨٣.

٢ ـ الحديد: ٢٣.

٣ـ في بعض النسخ «من دبّ إلى شب» والصحيح ما أثبتناه، اُنظر مجمع الأمثال ١:٦٢٨.

٤ ـ الحجر: ٢٩، وسورة ص: ٧٢.

٥ـ الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.

٦ ـ القاموس المحيط: ١٠٥.

المبحث الثالث

ما الموجَد الموجِد

والجواب أنّه الطبيعة الكليّة والعناية الرحمانيّة والقوّة الجوهريّة الفائضة عن النفس الكليّة الإلهـيّة لتـدبيـر العـوالم المادّيّة من العلويّة والسـفليّة،

قوله: في أنّه سُئل عن الموجَد الموجِد... إلى آخره.

والآن لك أن تُطبّق الموجَد الموجِد على النفس الكليّة الإلهـيّة على ماسمـغت شرحـها من ذلك العارف الجليل، وليست محتاجة إلى الشرح والتفصيل، ويبقى الوجـهان اللّذان أوردهمـا من أنّ الصّنع والإيجـاد يقـال لعـالم العـقل والنفس من عـالم الأمر، وأنّ تينك المرتبتين اللّتين يُعبّر عنهـما في لسـان الشـرع بعـالم الأسـماء والصفات فحسب، فليستا من عالم الخلق من شيء، فنقول تحقيقاً في الجواب وتبييناً للصواب:

إنّ كلّ ماله تعلّق بالمادة ـ أيّ تعلّق كـان ـ تعلّقاً ذاتيـاً أو تعلّقاً فعليّـاً، سواء كان من القوى المنطبعة فيها النازلة في منزلها الهابطة عن عالم القدس الراحلة عن محلّ الأُنس، أو من الموجـودات المتـوسطة والقـاطنين في البـرازخ الملزومـة لصـفـات المادّة وحيثيّاتها، أو من العوالي والملائكة السماويّة المتعلّقة بها تعلّقاً تدبيريّاً ـ هو من عالم الخلق، ويُطلق عليه اسمه ويظهر فيه رسمه، ويكون إطلاقه عليه شائعاً في لسان

أرباب الحكمة والمعرفة[1] وأهل بيت الوحي والنبوّة.

نعم، هذا حقّ في المرتبتين السابقتين اللّتين عرفتهما في تلك المُسودّات، وبالخُصوص المرتبة الأُولى التي هي نفس المشيّة التي هي حقّ مخلوق به.

ومن غريب الاتّفاق أني عثرت على كلام من ذلك العارف الكامل عند التعرّض لكلامه هذا في كتاب شرح توحيد شيخنا القمّي صدوق الطائفة رضي اللّه تعالى عنه، وهو من أعظم مصنّفات ذلك العارف، وأرفع كتب الشيعة في المعارف، وليس عندنا منه إلاّ الجُزء الثالث الذي استسعدت لزيارته بعدما شرعت في تلك المسودّات، قال رضي اللّه عنه عند قول مولانا وسيّدنا أبي الحسن الرضا عليه السلام في تفسير حروف المعجم: **«إنّ أوّل ماخلق اللّه عزّ وجلّ ليعرف به خلقه الكتابة حروف المُعجم»**[2] بعد كلام طويل بهذه العبارة: فلعلّ المعنى ـ أي معنى الحديث الشريف ـ أنّ أوّل ماخلق اللّه تعالى أوّليّته باعتبار أنّ أثر الإبداع يقال له الخلق، أو باعتبار أنّ كلّ مامن شأنه أن يتعلّق بالمادّة تعلّقاً أيّ تعلّق كان يُستعمل فيه الخلق، انتهى موضع الحاجة.

وقد صرّح في كلام أفاده قبيل ذلك الكلام تركناه مخافة التطويل أنّ الإبداع هو العقل، وأثر الإبداع ـ الذي هو الحرف ـ عبارة عن النفس، وهذا الكلام هو الموافق للتحقيق.

وأمّا قوله: «إنّ تينك المرتبتين هما عالم الأسماء والصفات، والفرق بينهما أنّ المرتبة العقليّة هي الأسماء والصفات الذاتيّة والمرتبة النفسيّة هي الأسماء والصفات الفعليّة».

١ ـ رسالتان في الحكمة المتعالية والفكر الروحي للشرف البلاسي: ٤٩، الشواهد الربوبية: ٩٥.

٢ ـ التوحيد للصدوق: ١/٢٣٢.

فهو وإن كان له وجه صحيح، إلاّ أنّ الأسماء والصفات الذاتيّة على الحقيقة هي التي ثابتة لذاته المقدّسة المُستجنّة في الذات المُتعال بحسب الشؤون والأطوار والتجلّيات الذاتيّة.

وقد حمل ذلك العارف الجليل قول أبي عبدالله عليه السلام: **(ذاتٌ علاّمة سميعة بصيرة)**[١] على كون الذات الأحديّة بنفس ذاته الشريفة نائبة مناب هذه الصفات، وقد ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام: **(لم يزل الله جلّ وعزّ ربّنا والعلم ذاته ولامعلوم، والسمع ذاته ولامسموع، والبصر ذاته ولامُبصر، والقُدرة ذاته ولامقدور)**[٢] إلى غير ذلك.

والحاصل: أنّ الأسماء والصفات الذاتيّة أجلّ ممّا ذكره ذلك العارف الجليل، وأقدس ممّا يناله يد التحديد والتقدير، وأنزه ممّا يحوم حول حضرته التقييد والتكثير، وقد عرفت فيما سبق من التفصيل، وانفتح على قلبك بأوضح سبيل، أنّ مراتب الوجود من مُجرّدها وماديّها من تعيّنات المشيّة معتنقات بالتحديد والتكثير، متلازمات بالتقييد والتقدير، كما يراه أصحاب القلوب من الأحرار وأرباب السابقة الحسنى من ذوي الأسرار.

وأمّا الأسماء والصفات الفعليّة فهي جميع مراتب الوجود، وسلسلة النزول والصعود من عوالم الغيب والشهود، لايختصّ بمرتبة من المراتب ولايحدّ من الحدود، كما هو المحقّق في محلّه والمبيّن عند أهله[٣] وقد فصّلنا القول في بعض الرسائل[٤] وليس هاهنا محل التحقيق والتفصيل.

١ ـ أُصول الكافي ١: ٦/٦٥ و ١/٨٣ و ٢/٨٤، التوحيد للصدوق: ١٣٩/ ٢ و١٤٣/ ٨.

٢ ـ أُصول الكافي ١: ١/٨٣، التوحيد للصدوق: ١/١٣٩.

٣ ـ شرح القيصري على الفصوص: ٨٤.

٤ ـ تعليقة الإمام على الفصوص: ٣١٠.

وهي مظهر الإرادة الرّبانيّة كما في توحيد المُفضّل من قول مولانا الصادق عليه السلام: «إنَّ الطبيعة تفعل بإرادة اللّه»[١] وهي الفاعلة في العالم الكوني الفعل الذي يقابل الانفعال، ونسبة الإيجاد الفعلي ـ المقابل للانفعال التدريجي إليها دون نظيرتيها السابقتين لوجهين:

أحدهما: أنَّ الصنع بل الإيجاد باعتبارٍ ممّا يقال في الحقيقة على عالم الخلق الّذي يقع فيه الفعل والانفعال التجديديين والتحريك والتحرّك الزمانيّين، ومبدأ ذلك العالم من تلك القوّة الشريفة النوريّة في المادّة القابلة الكليّة تنفّس الجسم ـ الذي هو العرش من وجه ـ تنفّس الصعداء، وباستنشاق المادّة ذلك النفس الرحماني من قبل اليمن؛ أي الوادي الأيمن من عالم الأرواح ـ انتظم نظام العلويّات والسفليّات برمّتها[٢].

وأمّا المرتبتان المُقدّمتان ـ أي العقل والنفس ـ فهما من عالم الأمر ومنزل القدس والكمال، ولايجري هناك الفعل والانفعال ولا الحركة والانتقال،

وقد تحقّق عند مدارك أصحاب العلم والحكمة[٣] أنّ الإيجاد في العوالم الخلقيّة والصنع في المراتب النازلة كلّما تحقّق فهو من ناحية النفس أيّة نفس كانت، وأمّا العقل فقد عرفت حاله، والجسم والصورة والهيولى فليس من شأنها الإيجاد والصنع، والقوى الجسميّة من آلات النفوس النباتيّة أو الحيوانيّة أو الإنسانيّة ومظاهرها، لااستقلال لها في التأثير والإيجاد. فتحقّق ممّا مرّ عليك أنّ الموجَد الموجِد أخصّ صفة من صفات النفس، وأوضح علامة من علاماتها، فتبصّر.

---

١ ـ بحارالأنوار ٣:٦٧ و ١٤٩.

٢ ـ في نسخة «ر» إضافة: إذ ينفخ هذه الصورة الشريفة وبتنفس النفس الإلهية النفس الرحماني، استنشقت المادة رائحة الوجود في عرصة الشهود، فتحقق العالم الجسماني بكليّته، وانتظم النظام العلوي والسفلي بجملته.

٣ ـ أثولوجيا إفلوطين: ٢٠.

بل إنّما تترتّب الآثار على المؤثّرات في ذلك العالم الشريف بمحض التعقّل والشوق بل المعقولات في ذلك العالم نفس التعقّل والشوق كما يعرفه أهل الذوق، قال اللّه تعالى: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾**[1] وعند النظر الجليل ترى أنَّ معلولات عالم الأمر إنّما هي آثار التسبيح والتقديس الذي طباعهم، ونتائج التهليل والتمجيد الذي شأنهم، وأنّهم لايفترون من ذلك ساعة ولا يسأمون لحظة يرشدك إليه: **«أنّ تسبيحنا يغرس شجرة في قيعان الجنّة»** كما في الخبر[2] فكيف الظنّ بتسبيحاتهم وتقديساتهم مع كمال طهارتهم؟!

وثانيهما: أنَّ تينك المرتبتين السابقتين هما ليستا من عالم الخلق والصنع، بل هما ما يعبّر عنه في لسان الشرع بعالم الأسماء والصفات[3] ليس إلاّ، لكن المرتبة الأُولى هي مرتبة الأسماء والصفات الذاتية كالعلم والحياة والقدرة، والمرتبة النفسية هي مرتبة الأسماء والصفات الفعليّة كالمشيّة والكبرياء والعظمة، بل النظر الجليل يرى الأُولى هي الصفات الذاتيّة الإلهيّة من حيث المرتبة والحقيقة، والثانية هذه الصفات لكن من حيث الوجود والتحقيق، فنسبة الإيجاد إلى المرتبتين السابقتين ليس كنسبته إلى المكوّنات، بل الإمكان الذاتي في العوالي محض اعتبار عقلي كما قاله بعض الأعلام[4].

وبالجملة: هذا العالم العلوي عالم الوجوب المتاخم لأُفق الوحدة الحقّة والبساطة المحضة، وقد قيل: «عالم الأمر مالا حكم فيه للإمكان»[5]

---

١ ـ يس: ٨٢.

٢ ـ ثواب الأعمال للصدوق: ٣/٢٦، وسائل الشيعة ٤:١٠٢٦/٥.

٣ ـ الأسفار ٦:١٨٧.

٤ ـ نفس المصدر ١:١٧٤.

٥ ـ مصباح الأُنس:١١٨.

وإلى المرتبة الأُولى أُشير بقوله تعالى في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ﴾[١] وإلى المرتبة الثانية بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحانَ

قوله: وإلى المرتبة الأُولى أُشير... إلى آخره.

إعلم أنّ الآيات الشريفة التي ذكرها ذلك العارف الجليل رضي اللّه عنه واستشهد بها لما جعله التحقيق محتوية عند النظر الدقيق على الأسماء الذاتيّة الثابتة للحضرة الواحديّة، إلاّ أنّ مظاهرها في العالم الخلقي مختلفة النشأة والوجود من العقل والنفس والهيولى والصورة إلى غير ذلك.

وقد اصطلح الشيخ «صاحب الفتوحات» في بعض كتبه «الأسماء الذات» على الأسماء التي كانت الذات فيها ظاهرة كالحيّ العليم، و«الأسماء الصفات» على التي كانت الصفات فيها ظاهرة، و«الأسماء الأفعال» على التي كان الفعل فيها ظاهراً[٢].

فعلى هذا الاصطلاح كانت الآية الشريفة الأولى مُشيرة إلى الأسماء الصفات، والآية الثانية إلى الأسماء الذات، والآية الثالثة إلى الأسماء الأفعال، وأيضاً إنّ الآية الأُولى إشارة إلى صفة الجمال، والثانية إلى صفة الجلال، وإن كان في كلّ صفةِ جمالٍ جلالٌ وفي كلّ جلالٍ جمالٌ.

وفي الآيات الشريفة وتصديرها بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَإِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾[٣] إشارات ورموزات وعلوم ومعارف ليس في هذا المختصر مقام ذكرها، والأولى إرجاعها إلى طور وراء طورها.

---

١ ـ الحشر: ٢٢.

٢ ـ إنشاء الدوائر: ٢٩ و ٣٠.

٣ ـ الحشر: ٢٢ و ٢٣.

اللّهِ عَمّا يُشرِكُون﴾[١] وإلى المرتبة الثالثة التي نحن بصدد بيانها بقوله: **﴿هُوَ اللّهُ الْخالِقُ البارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكِيم﴾**[٢].

ولنرجع إلى ما كنّا فيه فنقول: إنَّ تلك الطبيعة غير الصورة الفاعلة في الأجسام، بل هي العناية الربانيّة الممسكة لنظام العالم، وهي مطلع الإرادة الإلهيّة التي هي نفس الفعل ـ بالفتح ـ في الأخبار النبويّة[٣] ومعنى الموجَديّة والموجِديّة ـ بالفتح ثمّ الكسر ـ أنّها فاعلة في الأشياء بإذن اللّه، ومعطية للصور كما شاء اللّه، ومخلوقة بنفسها من اللّه إذ الأشياء مخلوقة بالإرادة وهي مخلوقة بنفسها.

وفي معنى الموجَديّة والموجِديّة في الطبيعة التي هي مطلع الإرادة ماورد في الأخبار عن الأئمّة عليهم السلام من: **(أنَّ اللّه خلق الأشياء بالمشيّة وخلق المشيّة بنفسها)**[٤] وهذا بعينه يجري في الإرادة غير أنَّ الفرقان بينهما قليل، وكثيراً مايعبّر في الأخبار عنهما بأحدهما، وعن كلّ واحد منهما بالآخر كما لايخفى؛ حتّى ظنّ من ذلك بعض الأعلام أنّهما صفة واحدة[٥].

قوله: حتّى ظنّ من ذلك.

ليس في هذه الرسالة ـ مع كون بنائها على الاختصار والإجمال، والرمز والإشارة في المقال ـ محلّ الحُكومة بين هذين الأُستاذين مع كونها خارجة عن وسعي؛ فإنّ تحقيقاتهما أجلّ من أن تنالها أيدينا.

---

١ ـ الحشر: ٢٣.

٢ ـ الحشر: ٢٤.

٣ ـ أُنظر أُصول الكافي ١:١١٦ باب ٢٦، التوحيد للصدوق: ٣٣٦ باب المشيئة والإرادة.

٤ ـ أُصول الكافي ١:٨٥/٤، التوحيد للصدوق:١٤٨/١٩.

٥ ـ مرآة العقول ٢:١٥٥، الوافي للفيض الكاشاني ١:٥١٨.

المبحث الرابع

ما الجاري المنجمد

والجواب أنّه الطبيعة الجسميّة أي الجسم الطبيعي المرسل، وهي طبيعة

قوله: ما الجاري المنجمد... إلى آخره.

ماأفاد ذلك العارف الكامل في الجواب من كون الجاري المنجمد هو الطبيعة الجسميّة موافق للصواب، وإن كان التفصيل الذي أفاد وزعم أنّه موافق للتحقيق خلاف الحقّ الحقيق، بل خلاف الآية الشريفة[1] بالنظر الدقيق، وخلاف تركيب عبارة الحديث الشريف، من تقديم الجاري على المنجمد، وإتيان المنجمد بصيغة الإنفعال التي هي للقبول والعروض.

والتحقيق: أنّ الطبيعة الجسميّة هي الجارية جرياناً ذاتيّاً، والمُتغيّرة تغيّراً جوهريّاً، والمُتبدّلة تبدّلاً ماهويّاً في كلّ آنٍ، بل التعبير عنها بالآن من ضيق العبارة، والأولى أن يقال: جرياناً دائمياً وتغييراً اتصاليّاً، كما أفاد ذلك بأوضح بيان في الكتاب الإلهي بالتمثيل بمرور السحاب[2] الذي هو مرور دائمي بلاتخلّل السُكون الحركة والتبديل وافقه في الصورة النوعيّة التي شيئيّة الشيء بها، ولولاها لم يكن الشيء مذكوراً، بل

١و٢ ـ النمل: ٨٨.

سيّاله بذاتها من دون ميعان بل في جمود، ومتحركة بنفسها مع كونها ثابتة في ذاتها، كما قال عزّ من قائل: **﴿وَتَرَى الجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهِ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شيءٍ﴾**[1].

أمّا معنى كونها سيّالة متحرّكة بذاتها فهو أنّ الحركة من لوازمها من حيث قابليتها واستعدادها الذاتي؛ لأنّ تحرّكها النفسي تحريكها

كانت الصورة نفس التجدّد والسيلان كما ساق إليه البرهان[2] وليست الحركة في الأحوال فحسب، وإن كانت التغيّرات العرضيّة وبحسب الأحوال لازمة للتغيرات الذاتيّة وكواشف عنها، وثبوت الذات في الحقائق التي بحسب ذاتها واقعة تحت تصرّف الزمان غير جائز على شريعة الحكمة والبرهان، كما أوضح سبيله بأتمّ بيان وأصحّ تبيان في الكتاب الحكيم والقرآن المحكم القويم، حيث نسب جمود الجبال ـ التي هي أوضح مصاديق الطبيعة الجسميّة ـ وثبوتها إلى الزعم والحسبان، وأثبت الحركة والمرور والسيلان لها مؤكّداً باسميّة الجملة وحاليّتها مع إتيان المسند بالفعل المضارع الدالّ على التغيّر التجدّدي والسيلان الاتّصالي، وأوضحه بالتمثيل بمرور السحاب في الحس الّذي كان متّصل الحركة ودائم السيلان.

وليس في هذه الرسالة المختصرة الموضوعة للرمز والإشارة مجال بيان هذه الحقائق وتفصيلها، ولم تحضرني الرسالة[3] التي ذكرها حتّى أتصدّى للحكومة بين هذا العارف الكامل وذلك الفيلسوف المتألّه[4] رضي اللّه عنهما وإن كانت الحكومة بينهما خارجة عن وسعي مع قصور الباع وقلّة الاطّلاع.

---

١ ـ النمل: ٨٨.

٢ ـ الأسفار ٣: ٨٠ ومابعدها.

٣ ـ وهي رسالة مرقاة الأسرار.

٤ ـ هو الفيض الكاشاني قدّس سرّه.

التسخيري الشوقي، وكون التحريك من قبل النفس[١] لاينافي كون حركتها بذاتها؛ بمعنى أنَّ القبول المخمّر في طينتها يبعثها على الطلب من النفس؛ لأنَّ تعيين حدود الحركة وجهاتها لايمكن أن يكون لذاتها، بل إنّما هو من قبل النفس وإرادتها، ومن ذلك قيل: النفس عدد متحرّك، فهي المتحرّك المُحرّك.

وأمّا ثبات الطبيعة الجسميّة وجمودها، فمن جهة أنَّ ذاتها ليست نفس الحركة والسيلان كما زعم بعض الأساتيذ الأعلام[٢] بل هي ذات ثابتة بنفسها والحركة عارضة لها من حيث القابليّة عروض اللوازم الذاتيّة لمعروضها، وتحقيق ذلك مبسوطاً مذكور في رسالتنا المُسمّاة: بـ«مرقاة الأسرار»[٣] في بيان حدوث العالم حدوثاً زمانيّاً.

ثمَّ إنَّ ذلك التغيير مبدأ سائر التغيّرات التي بعدها أيّ تغيّر كان مع جمودها في الظاهر على حالها، فالعالم الجسماني بمجموعه مُتغيّر ومُتحرّك دائماً يتبدّل تعيّنه مع الآنات، ففي كلّ آن يوجد مُتعيّن غير المتعيّن الأوّل، والعين الواحدة التي يطرأ عليها هذه التغييرات وهي بحالها هو الجسم الطبيعي الثابت بذاته المُتغيّر بأحواله، وفي الآية إيماء إلى ذلك حيث قال: **﴿وَتَرَى الْجِبالَ﴾** أي الحقيقة الأصلية التي هي طبيعة الجسم **﴿تَحْسَبُها جامِدَةً﴾** ثابتة حين تمرّ وتعرضها الحركة، فالمرور حال عارض والجمود والثبات ذاتيّ.

---

١ ـ في نسخة «س» لأن تحركها النفس؛ لأنّ تحريكها إنّما هو من النفس وذلك. وفي «ر» لأن تحركها النفس لأن تحريكها إنّما أمر من النفس وذلك بدل: لأنّ تحركها النفسي تحريكها التسخيري الشوقي وكون التحريك من قبل النفس.

٢ ـ أُصول المعارف للفيض الكاشاني: ٨٥.

٣ ـ هي رسالة في مسألة ربط الحادث بالقديم، وصدور المتغير عن الثابت المقيم، وذكر فيها في قاعدة أن الحركة ليس من ذاتيات الطبيعة لكونها عرضاً، صفحة: ٦.

وهكذا ينبغي أن يفهم تجدّد الخلق مع الآنات، لا كما ذهب بعض الأعلام إليه من أنّ الطبيعة الجسميّة ذاتها سيالة بمعنى أنّها نفس الحركة والسيلان[١] ولا كما زعم بعض المُتصوّفة من أنّ المُتبدّل هو الوجودات كلّها

قوله: ولا كما زعم بعض المُتصوّفة... إلى آخره.

ماذكره ذلك البعض له وجه صحيح موافق لمشرب رحيق عرفاني ومأخذ تحقيقي إيماني؛ وهو أنّ القيّوم بالذات والثابت بجميع الجهات، الذي لاطريق للتّغيير في كبرياء قدسه، ولاأثر للتّبديل حول حريم أُنسه، هو الذات الأحديّة جلّ برهانه وعظم شأنه وسلطانه، وأمّا الموجودات الإمكانيّة فهي بالجهات المُنتسبة إليه تعالى كذلك، وأمّا بجهات نفسيّاتها وحيثيّات ذاتها فهي متغيّرات الهويّة متبدّلات الماهيّة والحقيقة من الليس إلى الأيس، بل سلسلة الموجودات بقضّها وقضيضها وأوجها وحضيضها دائمة التبدّل متّصلة التغيّر في انوجاد وانعدام بحسب حكومة الأسماء الإلهيّة، فإنّ اللّه تعالى بحسب اسم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٢] يخرج الموجودات من الليس إلى الأيس ومن الأيس إلى الليس.

وأيضاً إنّ مراتب الوجود من الغيب والشهود لها بسطٌ ببسط بساط الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة تحت حكومة اسم ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ وقبضٌ بجمع هذا البساط تحت تصرّف اسم ﴿الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٣] وأمثال ذلك من الحركات والتبدّلات التي للموجودات دون مبدئها وللمبدَعات دون مبدعِها، وليست هذه الحركات التي عرفتها مختصّة بعالم المادّة والماديّات وسلسلة السافلات من القاطنين في موطن الزمان والزمانيّات، فتبصّر ولاتخلط بين المشارب فإنّ لكلّ قوم لساناً ولكلّ كلام مع

---

١ ـ أُصول المعارف للفيض الكاشاني: ٨٥.

٢ ـ الرحمن: ٢٩.

٣ ـ الرعد: ١٦.

والعين الواحدة هو الوجود الحقيقي الذي بزعمهم هو اللّه[١] تعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

ثمّ اعلم أنَّ هذه الطبيعة الجسميّة هي عرش الرحمن باعتبار، ومنها يتصحّح عالم المثال، حيث ورد أنَّ في العرش مثال كلّ شيء في هذا

كلّ متكلّم مقاماً، كلّم الناس على قدر عقولهم[٢] ومارسل رسولٌ إلاّ بلسان قومه[٣].

قوله قدّس سرّه: ومنها يتصحّح عالم المثال... إلى آخره.

مأشار إليه هاهنا لتصحيح عالم المثال ذكره في شرح توحيد صدوق الطائفة رضي اللّه عنه أيضاً، والذي دعاه إلى ذلك مازعم من عدم إمكان وجود الصور المقداريّة بلامادّة جسميّة كما صرّح به وادّعى الوضوح والتبيّن فيه.

وليس هذا بكثير الإشكال عندنا؛ فإنّ المقدار من لوازم الجسم الطبيعيّ، بل الفرق بينهما بالإبهام والتعيين كما هو المقرّر في محلّه والمبيّن عند أهله[٤] وقد ثبت في مدارك أصحاب الحكمة المتعاليّة أنّ احتياج الصورة إلى المادّة لقصورها ونقصانها وعدم تشخّصها في بدء وجودها، وأمّا إذا صارت تامّة متشخّصة بالذات فلااحتياج لها إلاّ إلى فاعلها التامّ وقيّومها المطلق، فاستقلّت الصورة في الوجود بلامادّة قابلة[٥].

وليت شعري ما المادة القابلة في الصور الخياليّة التي في الإنسان الصغير؟ هل الجسم مادّة لها، أو النفس بقوّة وجودها وهمّتها توجدها بلامادّة؟ والعجب من ذلك

---

١ ـ شرح فصوص الحكم للقيصري: ١١٧، ٢١٠، ٢٨٧.

٢ ـ اقتباس من حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله، أُصول الكافي ١: ١٨/١٥.

٣ ـ اقتباس من سورة إبراهيم آية: ٤.

٤ ـ الأسفار ٥: ٢.

٥ ـ نفس المصدر ٥:١٤٥ ومابعدها و ٢٥٦.

العالم[1] وليس ذلك كما اشتهر بين أصحاب الإشراق، فإنّ وجود الصورة المقداريّة بدون المادّة بيّن الاستحالة، بل إنّما يتيسّر فهم ذلك بعد ما تحقّقت

العارف العظيم الشأن مع كثرة غوره في مباحث علميّة وعرفانيّة كيف ذهل عن هذه الدقائق؟ وهذه الغفلة والذهول صارت منشأً للردّ في كثير من المباحث العلميّة على شيخ مشايخ أرباب الحكمة والمعرفة صدر صدور الحكماء والمتألّهين رضي اللّه تعالى عنه وليس هاهنا مقام ذكرها وتفصيلها.

ولقد أُشير إلى ماذكرنا في لباس الرمز في الكتاب الإلهي بقوله: **﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ﴾**[2] فإنّ مقتضى سريان الحياة في شراشر دار الآخرة ـ التي أوّل منزلها العالم البرزخي المضاهي للعالم المثالي، وبإزائه في قوس الصعود كما هو مقابله في قوس النزول ـ أن لايكون فيها المادّة الجسميّة التي هي مبدأ لكلّ موت وليست فيها حياة أصلاً.

وأُشير إلى ذلك أيضاً في النبوي المشهور: **«الدنيا مزرعة الآخرة»**[3] فإنّ الدنيا إذا كانت مزرعة للآخرة كانت الآخرة دار الحصاد، فإذا كانت الآخرة دار الحصاد لم يكن فيها قابليّة وهيولويّة، فإنّ الهيولى بذاتها محلّ الزرع، ووجودها بلازرع لغو وعبث تعالى عن أن يكون في ملكه اللغو والعبث.

وهاهنا أسرار ورموز بعضها راجعة إلى أحوال أهل البرزخ والقيامة من السعداء والأشقياء وكيفية الانتقالات الواقعة في الدار الآخرة، ليس هاهنا محلّ ذكرها ورخصة إفشاء أمرها، ولعلّ اللّه يُحدث بعد ذلك أمرا، ووفّقنا لوضع رسالة فيها فرداً.

---

١ ـ الدعوات لقطب الدين الراوندي: ١٤٩/٦٠، روضة الواعظين ١: ٤٧، بحارالأنوار ٥٥: ٥٨/٣٦.

٢ ـ العنكبوت: ٦٤.

٣ ـ عوالي اللئالي ١: ٢٦٧ /٦٦، كنوز الحقائق لعبدالرؤوف المناوي: ١٣٢.

أنَّ الجسم الكلّ بعد تقومه بما ينبغي أن يتقوّم، وقبل أن تعرضه كدورة الأعراض، أو يلحقه صدأ الآثار والخواص ـ حقيقة نوريّة في نهاية الصفاء والصقالة بحيث كأنّه مرآة يحاذي بها شطر النفس الكليّة التي فيها جميع الحقائق العقليّة منطبع منها إليه كلّ الرقائق النوريّة، بل هو كما قال الشيخ اليوناني في مرموزاته: إنَّ الفلك موضوع في وسط النفس، فلايخرج منها شيء إلاّ وقد سلك من طريق الجسم إلى الحسّ، ويمكن أن يشير إلى ذلك قوله سبحانه: **﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ﴾**[١] وقوله: **﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُن﴾**[٢] إلى غير ذلك من الآيات، وقد بسطنا القول في ذلك في الموضع اللائق.

---

١ ـ السجدة: ٥.

٢ ـ الطلاق: ١٢.

المبحث الخامس

ما الزائد الناقص

والجواب أنَّه الجسم التعليمي؛ لأنّه من أعظم أنواع الكّم القابل للزيادة والنقصان، وهو معلول الطبيعة الجسميّة؛ حيث يلزم الجسم الطبيعي من دون انفكاك عنه في وقت حتّى عند الانفصال خلافاً للمشهور عند المُتفلسفة المتأخرين[1].

ولمّا كان لازماً عارضاً للجسم وجب أن يكون فيه فاعل له وأمر قابل له، ومن البيّن أنَّ الفاعل في الجسم يسمّى صورة والقابل هيولى، فثبت في الجسم الذي هو عرش الرحمن من وجه وجود أمرين: هما الهيولى، والصورة.

قوله: عند المتفلسفة المتأخّرين:

لمأعرف صاحب هذا القول، والمحقَّق عند المحقِّقين من المتأخرين تبديل المتعيّن الأوّل بالمتعيّن الآخر، فإن أراد من عدم الانفكاك مايشمل هذا فهو خلاف التحقيق بل الضرورة؛ فإنّ الفرق بين التعليمي والطبيعي بالإبهام والتّعيين، فتبصّر.

---

١ ـ الإشارات والتنبيهات ٢: ٣٤، الأسفار ٤: ٢٠.

أمّا وجه عرشيّة الجسم فلكونه مظهر الجواهر العقليّة، والعرش هو العقل في الحقيقة، وأيضاً من المُقرّر أنّ العرش على الماء[١] والهيولى أشبه شيء بأن يعبّر عنها بالماء حيث تكون قابلة لجميع الصور والأشكال، ومن ذلك يظهر أيضاً كون الصورة مظهر اسم الرحمن، وقد قال: **﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾**[٢] ومنه يتصحّح أيضاً **(أنّ اللّه سبحانه لمّا خلق العرش حمله على كواهل أملاك أربعة، فلم يستقرّ قراراً وعجزوا عن حمله بداراً، حتّى استقرّ بقول: لا إله إلاّ اللّه ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه)**[٣].

أمّا عدم قراره فمن حيث استلزامه للسيلان والتغيير الذاتي، وأمّا قراره بالكلمتين فلدلالتهما على ثبات اللّه وقيوميّته لكلّ شيء وأنّه المُمسك السماوات والأرض.

وبالجملة: هذا الجسم المُتكمّم مطلع التقدير الإلهي على العالم الكوني، وعبّر عنه في الأخبار بالبحر العميق والطريق المظلم[٤].

أمّا البحر العميق فلكونه في المادّة التي هي البحر الأعظم، والتيّار المُحيط بالعالم، والبحر المكنون من أعين أهل الحسّ الذي ورد أنّه فوق السماوات[٥].

وأمّا الطريق المظلم فلكونه في عالم الغواشي والغواسق الجرمانيّة، ومطمورة الطبائع الجسمانيّة.

وأمّا سرّ كونه قابلاً للزيادة والنقصان فقد قال معلّم الحكمة في

---

١ ـ هود:٧.

٢ ـ طه:٥.

٣ ـ أُنظر تفسير نورالثقلين ٣:٣٦٨/١٤، تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٧٤/١٤٦، بحارالأنوار ٥٥ : ٢٦/١٩ و ٥٣/٣٣.

٤ ـ أُنظر نهج البلاغة: باب الحكم رقم ٢٨٨، بحارالأنوار ٥:٩٧/٢٢.

٥ ـ اقتباس من رواية أُصول الكافي ٢:٤١٧/١.

اثولوجيا: إنَّ الأشياء التي تقبل الزيادة والنقصان هي في عالم الكون، وإنّما صارت تقبل الزيادة والنقصان؛ لأنَّ فاعلها ناقص هو الطبيعة، وذلك لأنَّ الطبيعة لاتبدع صفات الأشياء كلّها معاً، فلذلك تقبل الأشياء الطبيعيّة الزيادة والنقصان[١].

ثمّ اعلم أنَّ بعد وجود التعليميّات التي هي مظهر القدر[٢] يقضي اللّه بوجود الأشخاص الكونيّة، فتلك الأشخاص مطلع القضاء الإلهي ومظهر الحكم الحتم الرّباني، هكذا ينبغي أن تفهم مراتب الخصال والأسباب من العلم والمشيّة والإرادة والقدر والقضاء من ربّ الأرباب.

١ ـ أثولوجيا إفلوطين: ١٣٩.

٢ ـ في نسخة «م»: المقدّر.

الفائدة الثالثة

في تحقيق جواب الإمام عليه السلام

عن هذه الأسئلة وانطباق الكلام على الحقائق المذكورة
وتخريجها منه من دون تكلّف، ودلالته عليها من غير تعسّف

وهاهنا مطلبان

المطلب الأوّل

معنى قوله عليه السلام
بينا أنت أنت صرنا نحن نحن

اعلم أنَّ الغرض من قوله عليه السلام: «بينا أنت أنت صرنا نحن نحن» بعدما تذكّرت من تحقيق معنى هذا التركيب هو أنَّ الذات الأحديّة كان حيث لاجهة فيه ولا جهة، ولا حيث ولا حيث، ولا اسم ولا رسم، ولا نعت ولا وصف، ولا حمل ولا وضع، ولا إشارة ولا عبارة، بل كان هو من دون أن يقال: هو هو بالتكرير، وهي المرتبة اللائقة بالأحديّة الحقّة الصّرفة، تعالى كبرياء ذاته عن وصمة الكثرة حتّى من اعتبار الجهة والحيثيّة، بل قاطبة تلك الكثرات الأسمائيّة والصفاتيّة فإنّها بعد الذات بمراتب، ويتباعد عنها تباعد الأرض والسماوات بسياسب.

وبالجملة: لّما كان في مرتبة الأحديّة هكذا وكانت ذاته ذاتاً لاعلامة، نظر سبحانه إلى نفسه ورأى ذاته بأنَّه هو، انبجست منه الأشياء كلّها وتسبب وجود الحقائق بقضّها وقضيضها، وتصيّرت الذوات كبيرها وصغيرها، وتذوّتت الماهيّات عظيمها وحقيرها دفعة سرمديّة خارجة عن الكيفيّة والحيثيّة مُتعالية عن الفكرة والرويّة، مُقدّسة عن أن يشذّ منها شيء صغيراً كان أو كبيراً أو يعزب عنها مثقال ذرّة في الأرض والسماء، وهذا هو معنى

قوله عليه السلام: «بينا أنت أنت صرنا نحن نحن».

وممّا يؤيّد أنّه تعالى في المرتبة الأحديّة هكذا ـ سواء كان قبل الخلق أو معها، وأنَّه في تلك المرتبة وحده لا هو هو ـ أخبار كثيرة منها ماورد عن الرضا عليه السلام الذي هو مربيّ أولاد العجم في جواب مسألة عمران على ما رواه شيخنا الصدوق في توحيده، وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام أنَّه قال بعد كلام: **(لم يزل تعالى واحداً لاشيء معه فرداً لاثاني معه، لامعلوماً ولا مجهولاً، ولا مُحكماً ولا مُتشابهاً، ولا مذكوراً ولا منسيّاً)**[1]... الخبر، فتبصّر.

تذييل تدقيقي وتحقيق منطقي

إعلم أنَّ قولك: أنت أنت، وأنا أنا، وهو هو باصطلاح علم الميزان عند أهل العرفان[2] يستدعي استقلال الموضوع بالقوام واستغناءه عن الجاعل التامّ، فالممكن ليس له قوام بذاته بل بقيموميّته تعالى، فلا يصحّ عليه هذا الحمل أزلاً وأبداً بالحقيقة؛ وذلك لأنّك إذا فتّشت عن زيد فزيد إنسان متعيّن[3] وإذا تفحّصت عن الإنسان فهو حيوان متعين[4] وكذلك إذا تدرّجت عن الحيوان وسلكت بهذا العنوان لم يتوقّف في مرتبة إلى أن ينتهي إلى الجنس الأقصى البسيط، ولمّا كان قول «ما» و «لم» في البسيط واحداً انتهى لا محالة إلى جاعل الذوات والماهيّات بالجعل البسيط، والفاعل لقاطبة الموجودات من دون وسيط **﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾**[5].

وبالجملة: في جميع المراتب لايسعك هذا الحمل بالحقيقة أو مع وجدان

---

١ ـ التوحيد للصدوق: ٤٣٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١:١٣٩.

٢ ـ أُصول المعارف للفيض الكاشاني: ٣٨، الأسفار ١:١١٧، تفسير القرآن لابن العربي ١:١٤٢ و ٢:٨٧٠.

٣ ـ في نسخة «ر»: متشخص بدل: متعين.

٤ ـ في نسخة «ر»: متعلق متقيد بدل: متعين.

٥ ـ الشورى: ٥٣.

فائدة إلاّ في المبدأ القيّوم تعالى شأنه، فإنّه هو هو لاغيره.

على هذا التحقيق الذي لا أظنّك تظفر به في غير هذه الأسطر، فقوله عليه السلام: «بينا أنت أنت»، على الحقيقة وقوله: «صرنا نحن نحن» إنّما التكرار فيه بمجرد المُشاكلة والمُقايسة بالكلام الأوّل؛ لأنَّ صيرورة الشيء شيئاً إنما هو مفاد الجعل المركب، وهو مُستحيل قطعاً، وفي «الصحيفة السجادية»: (**إلهي كيف أدعوك وأنا أنا، وكيف أقطع رجائي عنك وأنت أنت**)[1] وذلك يعاضد ماقلنا؛ إذ معناه أنَّ قولي واعتقادي «أنا أنا» إنّما يوجب أن يكون لي ذات دونك قائمة بنفسها، ومع ذلك فكيف يسعني أن أدعوك وافتقر إليك، ومن أين تكون لي الحاجة إلى أن أطلبك، فإنَّ ذلك يشعر باستغنائي عنك، ثمَّ لمّا نفى عليه السلام عن نفسه ذلك قال: «وكيف أقطع رجائي عنك وأنت أنت» أي هذا الحكم ماينبغي إلاّ لك ولايشركك فيه أحد غيرك؛ لأنّك أنت القائم بذاته القيّوم لما سواه، فلأيّ شيء لا أدعوك، وكيف يسعني أن أقطع رجائي عنك والكلّ منك وبك ولك وإليك.

وممّا قلنا يتصحّح أيضاً سرّ ما نقل عن جبرئيل في ابتداء خلقه، حيث سأله اللّه أكثر من مرّة من أنا ومن أنت؟! ويجيب كلّ مرّة مخاطباً للّه بقوله: أنت أنت وأنا أنا، فيحترق بسطوات الكبرياء، ويسقط من سماء القرب أبعد ممّا بين هذه الأرض وتلك السماء إلى أن ظهر مُغيث النفوس والأرواح في عالم الأنوار والأشباح، مولى الكونين، وإمام الثقلين مولانا علي عليه السلام، فعلّمه بأن يقول في الجواب: أنت الملك الجليل وأنا العبد الذليل جبرئيل، فلمّا قال ذلك تخلّص من الاحتراق بنار البعد والفراق[2].

فاحتفظ بذلك التحقيق فإنّه من مشرب رحيق.

---

١ ـ الصحيفة السجادية الجامعة: ٣٩٨.

٢ ـ أُنظر الأنوار النعمانيّة ١:١٥.

المطلب الثاني

في تطبيق الجواب على الأسئلة المذكورة وإخراج المقاصد منه بأوضح طريقة

اعلم أنَّ رأس الجالوت سأل عن الرؤوس الخمسة التي هي أوائل الموجودات وأُصول العوالم والماهيّات، وأجاب الإمام عليه السلام: ببيان لميّة الإيجاد وسرّ الصدور على نحو الرشاد؛ بحيث يظهر علّة وحدة الصادر الأوّل مع كثرته، وهو الذي صدّره السائل في كلامه حيث قال: ما الواحد المُتكثّر.

أمّا ظهور وحدته فلكونه صادراً عن الواحد المحض، وأمّا كثرة ما فيه فلدلالة كلمة نحن على ذلك كما لايخفى، وأجمل عليه السلام في الجواب عن الأربعة الأُخر لما علم عليه السلام أنَّ السائل إذا عرف أنَّه أجاب بما فوق مسؤوله بل فوق ما أحاط به مأموله من بيان هذا السرّ بذلك الإيجاز المرموز فمن ذلك يمكنه التفطّن بأنّه عليه السلام أعلم بهذه الحقائق منه، بل انتشرت هذه الأسرار منهم عليهم السلام على العالمين من الأنبياء والأولياء والمرسلين والحكماء الإلهيّين.

وأيضاً أشار عليه السلام في هذا الإيجاز إلى أنَّ ذلك الصادر الأوّل هو نورهم الساطع وبرهانهم القاطع، حيث قال: «صرنا نحن نحن» ليعلم

السائل أنّهم أوّل من قرع باب الوجود والإيجاد، وأقدم من نظر إليه الحقّ نظر الرحمة والوداد حينما نظرَ إلى نفسه، بل بعين ما رأى ذاته بذاته، ثمّ منهم عليهم السلام استنارت سائر الموجودات وتحقّقت الحقائق وتذوّتت الذوات.

وأيضاً لّما ظهر من كلام الإمام عليه السلام أنّ الواحد المُتكثّر إنّما صدر من المبدأ الأوّل من جهة رؤية نفسه، فعسى أن يتحدّس الرجل العلمي بأنَّ هذه الرؤية كما تستتبع صدور هذا المُتكثّر كذلك بعده يستعقب الشوق العقلي والمشيّة الإلهيّة التي مظهرها النفس الكلّية إلى إظهار الجواهر العقليّة المُودعة في باطن العقل المُندمجة في سرّ هذا الوجه في بساط الشهود وموطن الوجود، وهو يستلزم الإرادة الربّانيّة والعناية الرحمانيّة الّتي مطلعها الطبيعة الكلّيّة ببسط هذا البساط لتحقّق الارتباط، وذلك البساط هو الجسم الكلّي المُعبّر عنه في السؤال بالجاري المُنجمد، وذلك يقتضي وضع تلك الجواهر في هذا البسيط وتقدير أسعارها وتقويم قيمتها، وبيان آجالها وأرزاقها، ومداد أعمارها.

وبالجملة: خيراتها وشرورها بوجود الجسميّة التعليميّة والكميّة السارية الاتّصاليّة.

وأيضاً قد استقرّ فيما هدانا اللّه من البراهين أنَّ هذه الخمسة مرجعها إلى شيء واحد بالذات؛ لما تقرّر عندنا أنَّ العقل نفس بالعرض كما أنَّ النفس عقل بالذات وطبع بالعرض، وهذا من الأسرار التي لاتحملها إلاّ صدور الأحرار، فعلى هذا فالجواب عن الواحد منها جواب عن الكلّ والحمد للّه الهادي للسبيل.

فذلكة:

محصّل هذه البينات أنَّه تعالى علم وشاء وأراد وقدّر وقضى؛ فبعلمه تحقّقت المعقولات[١] بوحدتها وجملتها، وبمشيّته تحرّكت الأشواق وتعينت الأرواح بكثرتها، وبإرادته وجدت تلك المعلومات في بساط الكون فقدّر آجالها وأعمارها وأرزاقها، وقضى بما هو الصلاح لها، وهذا الذي قلنا يعرفه من سبقت له من اللّه الحسنى.

١ ـ في نسخة «ر»: المعلومات والعلوم الإلهيّة بدل: المعقولات.

خاتمة

يمكنك إن بذلت جهدك وأعملت رشدك أن تجعل كلاً من الجوابين عن

خاتمة

وبالحريّ أن نطوي الرّسالة ونختم المقالة بذكر ماوعدناك من الوجهين للرواية، وإن كان هاهنا رموز مرموزة وكنوز من العلم مكنوزة لكن نتركها لمنافاتها مع وضع الرسالة، والآن نذكر الوجهين بطريق الاختصار، ونتلو عليك سرّاً دون الجهار.

فنقول في بيان أُولاهما: إنّه يمكن أن يكون سؤال رأس الجالوت عن حقيقة واحدة لها صفات عديدة وعلامات ورسوم متعدّدة، إلاّ إنّه سأل في المرتبة الأُولى عن مظاهرها من اللّطف والقهر والرّحمة والغضب، وفي الثانية عن نفسها إمّا بذكر الصفات الخمسة لها فقال: ماالحقيقة التي إحدى صفاتها الوحدانيّة الذاتيّة والفردانيّة المُطلقة والتكثّر بحسب تنزّلاتها في المرائي الخلقيّة وصفتها الأُخر أن تكون راجعة إلى الوحدة الصِّرفة وعائدةً إلى الفردانيّة التامّة بعد نزولها وتكثّرها بالعرض.

فالصفة الأُولى: ناظرة إلى نزولها من الوحدة إلى الكثرة، ومن الوجوب إلى الإمكان، ومن الصُعود إلى النزول.

وصفتها الثانية: بعكس ذلك كلّه، وبعبارة أُخرى كانت الصفة الأُولى حقيقة ليلة القدر، والثانية حقيقة القيامة الكبرى.

وصفتها الثالثة: أنّها تكون موجَداً بنفسها وموجِداً لسائر الخلق كما في الرواية الصحيحة من طريق أهل البيت عليهم السلام: **(خلق الله الأشياء بالمشيّة والمشية بنفسها)**[1].

وصفتها الرابعة: أنّها الجاري بالانتساب إلى الخلق والمتغيّر بالجنبة الخلقيّة، والمُنجمد بواسطة انتسابها إلى الحقّ والثابت بالجنبة الحقيّة.

وصفتها الخامسة: أنّها الزائد الكامل بالنسبة إلى الخلق والناقص بالنسبة إلى الحقّ المُتعال؛ فإنّه جلّ برهانه تامّ فوق التمام، والتعبير عن الكامل بالزائد غير عزيز.

وأمّا بذكر مظاهرها الخمسة، فالسؤال عن الحقيقة التي لها مظاهر خمسة بحسب العوالم الخمسة، فأجاب الإمام عليه السلام عنها بأنّ الحقيقة التي ذكرتها ووصفتها بما وصفتها هي الحقيقة الإطلاقيّة التي وصلنا إليها، ويصدق عليها «نحن» المشار به إلى جميع مراتب الوجود من سلسلة النزول والصعود وحقائق الغيب والشهود، ثمّ أشار إلى مظاهرها اللطيفة والقهريّة بالتفصيل، وأتى بما هو له على الوجه الجميل.

فعلى هذا التحقيق الذي لم أظنّك أن تسمعه في غير هذه الأوراق يكون ما ذكره عليه السلام في المرّة الثانية تفصيل ماأجمل أوّلاً، فإنّ الحقائق المتعيّنات تفصيل مافي المشيّة الإلهيّة والإرادة الربانيّة.

وثاني الوجهين: أن يكون السؤال عن الحقيقة الإنسانيّة التي هي حقيقة الحقائق

---

١ ـ أُصول الكافي ١: ٨٥/٤، التوحيد للصدوق : ١٤٨/١٩.

وروح الأرواح وصورة الصور ومادّة الموادّ، الجامعة لجميع مراتب الكمال، الكامنة فيها صفتا الجمال والجلال، المضمر فيها عوالم الغيب والشهادة، المستتر فيها كلّ خير وسعادة، مظهر الإسم الأعظم الإلهي، ومظهر الحقائق والرقائق كما هي، كما أشار إليها مولانا ومولى الثقلين أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

وتزعم أنّك جرمٌ صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الّذي ... بأحرفِهِ تظهر المُضمرُ[1]

وأشار إليها مولانا وسيّدنا أبو عبدالله عليه السلام بقوله: (**إنّ الصورة الإنسانيّة أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده...**)[2] إلى آخره... فالحقائق الخمسة مظاهر وجوده، فعلى هذا كان الجواب عن هذه الحقيقة الكذائيّة بأنّها نحن الّذي وصلنا إلى مقام الجامعيّة والإطلاق وخرجنا عن حجاب التعيّن والتقيّد، فاحتفظ بذلك وكن أميناً له، والحمد للّه أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ولقد سلكنا في هذه الأوراق طريق الإيجاز، ورفضنا التفصيل والتطويل بالإغماز، فإنّ المجال ضيّق، والحال غير موافق، وأهل الزمان غير شائق لهذه الحقائق، بل في هذا العصر ـ الذي عُدّ العصر الذهبي ـ يكون كسب المعارف وطلب العلوم الدينيّة عاراً على عار، وخرجوا فوجاً بعد فوج عن هذا الشِعار، وتركوا أديانهم لزخرف الدنيا الدنيّة، ورفضوا إيمانهم لزبرج الأُمور الطبيعيّة، فاستحقروا الدّين وأهله استحقاراً، واستكبروا على أهل الشريعة والعلم استكباراً، وهتكوا حرمة الإسلام وناموس القرآن سرّاً وجهاراً، ووضعوا القوانين الملعونة خلاف صراحة القرآن، ومالوا في القضاء عن طريقة البيّنات والأيمان، وجلس في مقام النبي صلّى اللّه عليه وآله

١ ـ ديوان الإمام علي عليه السلام: ٥٧.

٢ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٣٨٣، كلمات مكنونة للفيض الكاشاني: ١٢٥.

والوصيّ كلُّ فاسق وجاهل، وتولّى الحكومة على الناس كلّ سافل وأراذل، مع هذه القواعد المجعولة والعقول الناقصة، ولقد ضاقت الأرض على أهل العلم والدّيانة لامفرّ لهم، وبهذه البلاد التي أشبه ببلاد الكفر لامقرّ لهم، ولقد عدّ لباسهم لباس الشهرة والذلّة، ولايأتي على أحد فوق ذلك من المذلّة، فهذا الزمان هو الّذي أخبر أهل البيت بأنّه لايبقى فيه من الإسلام إلاّ اسمه، ولامن القرآن إلاّ درسه[١].

(اللّهم عظُم البلاء، وبَرحَ الخفاء، وانقطع الرّجاء، وضاقت الأرضُ ومُنعتِ السّماء، فإليك يارب المشتكى، وعليك المعوّل في الشدّة والرّخاء)[٢].

(اللّهم بلّغ مولانا صاحب الزمان عن جميع المؤمنين والمؤمنات تحيّةً وسلاماً واجعله لنا ملاذاً ومعاذاً، اللّهمّ اجعله الدّاعي إلى كتابك والقائم بدينك، استخلفه في الأرضِ كما استخلفتَ الّذين من قبله، مكّن لهُ دينهُ الّذي ارتضيتَهُ لَهُ، أبدِلْهُ مِن بعد خوفه أمناً يعبُدكَ لايُشرك بكَ شيئاً) [٣].

ولقد تركنا بلادنا وجعلنا ملاذنا ومعاذنا عن هذه الشرور التي في هذه الأوان والمصائب التي في مثل الزمان إطاعة للأئمّة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين حرمَ أهل البيت مدفن فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر سلام اللّه عليهم أجمعين بلدة قم صانها اللّه عن هذه الشرور، وجعلها لنا ولكافّة أهل العلم والإيمان دار الأمن والسرور، في الزمن الذي كانت الرئاسة العلميّة منتهية إلى الشيخ الجليل العالم العابد الزاهد الفقيه مولانا والّذي عليه في العلوم النقليّة اعتمادنا الحاج الشيخ عبدالكريم اليزدي الحائري مدّ ظلّه العالي.

وقد وقع الفراغ عن تسويد هذه الأسطر في قصبة خُمَين، في الأيّام الّتي

١ ـ أُنظر سفينة البحار ١:٥٥٧.
٢ ـ بحار الأنوار ٥٣: ٢٧٥/ ٤٠.
٣ ـ مصباح المتهجد: ٥٢٣.

كلا السؤالين إلاّ أنَّ الأوّل جواب إجمالي والثاني تفصيلي، ويسهل عليك معرفة ذلك إذا راعيت الأصول المُلقاة عليك في تضاعيف ما قرع سمعك، واللّه المُوفّق والمُعين.

وصيّة:

هذا الذي تلونا عليك في تلك الرقيمة إنما هو من الأسرار التي خصّ اللّه بها فقراء عباده بالبراهين القويمة مع معاضدة المُجاهدات الذوقيّة والرياضات العقليّة[1] فإيّاك ثمّ إيّاك واللّه عونك في دنياك وأُخراك من أن تذيعها لأهل اللداد فإنّ ربّك لبالمرصاد.

ثمّ إنّي إن أصبت فمن اللّه وتوفيقه وأحمد الله، وإن أخطأت فمن نفسي واستغفر اللّه، اللّهمّ صلّ على أصفى المصطفين وسيّد الكونين ونور العالمين مُحمّد المبعوث على الثقلين وآله الهادين إلى سعادة النشأتين، واجعل قبور هذه الأسرار صدور الأحرار، واحفظها من اختطاف أيدي الأشرار، وعليه توكّلي وإليه انقطاعي، وبه عن شرّ خلقه اعتصامي، وبمحمّد وآله

هاجرت من قم الشريفة من شدّة الحر وتعطيل الدروس، وكان ذلك في يوم الثاني والعشرين من شهر رسول اللّه ربيع الأوّل سنة ثمانية وأربعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبويّة على هاجرها السلام والتحيّة. من السيد روح اللّه الخميني ابن السيد مصطفى غفر لهما.

وقد اتفق استنساخها بيد الآثم اللواساني في الليلة السابعة من شعبان السنة التاسعة والأربعين بعد الألف والثلاثمائة هجريّة قمريّة.

تمّت التعليقة

---

١ ـ في نسخة «ر»: الشرعية بدل: العقلية.

صلوات اللّه عليهم توسّلي، واللّه وليّي في جميع أحوالي، وهو حسبي، والحمد للّه ربّ العالمين.

واتّفق تسويده يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع المولود سنة تسع وتسعين وألف على يد مؤلّفه حامداً مصلّياً.

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات

الأنفال ـ ٨ ـ

التوبة ـ ٩ ـ

هود ـ ١١ ـ

الرعد ـ ١٣ ـ

الحِجر ـ ١٥ ـ

النحل ـ ١٦ ـ

٢ـ فهرس الأحاديث

٣ـ فهرس الأدعية والزيارات

٤- فهرس الأنبياء والأئمّة والملائكة عليهم السلام

٥ـ فهرس الأعلام

٦ـ فهرس الأماكن والمدن

٧ـ فهرس الجماعات والطوائف

٨ـ فهرس الأشعار

٩- فهرس الكتب الواردة في أصل الكتاب

١٠ـ فهرس مصادر التحقيق

١ ـ أثولوجيا افلوطين: افلوطن ـ إنتشارات بيدار ـ قم المقدّسة (١٤١٣هـ).

٢ ـ الإحتجاج : للشيخ أحمدبن عليّ الطبرسيّ ـ مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت (١٤٠٣هـ).

٣ ـ إرشاد القلوب: للحسن بن أبي الحسن الديلمي ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٤ ـ الأسفار: لصدر المتألّهين الشيرازي ـ مكتبة مصطفوي ـ قم المقدّسة.

٥ ـ الإشارات والتنبيهات: للشيخ أبي علي الحسين بن عبداللّه بن سينا ـ دفتر نشر كتاب ـ طهران (١٤٠٣هـ).

٦ ـ أُصول المعارف: للفيلسوف ملاّ محسن الفيض الكاشانى ـ دفتر تبليغات إسلامي ـ قم المقدّسة (١٣٦٢هـ ش).

٧ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: لمحمّد بن عمر الرازي ـ طبع مكتبة الكلّيات الأزهرية ـ مصر.

٨ ـ إقبال الأعمال: لرضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاوس ـ دارالكتب الإسلاميّة ـ طهران (١٣٤٩هـ.ش).

٩ ـ أمثال و حكم: علي أكبر دهخدا ـ طهران ـ انتشارات أمير كبير (١٣٥٧هـ).

١٠ ـ إنشاءالدوائر: لمحيي الدين ابن العربي ـ طبع ليدن (١٣٣٦هـ).

١١ ـ الأنوار النعمانية: للسيد نعمة اللّه الجزائري ـ مطبعة شركت چاپ ـ تبريز.

١٢ ـ بحار الأنوار: للشيخ محمّد باقر المجلسي ـ مؤسّسة الوفاء ـ بيروت (١٤٠٣هـ).

١٣ ـ بصائر الدرجات: للمحدّث الشيخ محمّدبن الحسن الصفّار ـ مؤسّسة الأعلمي ـ طهران (١٤٠٤هـ).

١٤ ـ البلد الأمين: للشيخ إبراهيم الكفعمي ـ مكتبة الصدوق ـ طهران.

١٥ ـ تأويل الآيات الظاهرة: للسيّد علي الاسترآبادي ـ موسّسة جماعة المدرسين ـ قم المقدّسة (١٤٠٩هـ).

١٦ ـ التبيان: لشيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي ـ دار إحياء التراث ـ بيروت.

١٧ ـ تذكرة الأولياء: للشيخ العطار النيسابوري ـ طهران (١٣٤٦هـ.ش).

١٨ ـ تعليقة الإمام على الفصوص: سماحة آيةاللّه العظمى الإمام السيد روح اللّه الخميني قدّس سرّه ـ مؤسسة پاسدار إسلام ـ قم المقدّسة (١٤١٠هـ).

١٩ ـ التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم المقدّسة.

٢٠ ـ تفسير البرهان: للسيّد هاشم البحراني ـ مؤسّسة إسماعيليان ـ قم المقدّسة.

٢١ ـ تفسير البيضاوي: لعبداللّه بن عمر البيضاوي ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت (١٤٠٨هـ).

٢٢ ـ تفسير القمّي: لعلي بن إبراهيم القمّي ـ مكتبة الهدى ـ قم المقدّسة.

٢٣ ـ تفسير الفخر الرازي: لفخر الدين محمّدبن عمر الرازي ـ مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم المقدّسة (١٤١١هـ).

٢٤ ـ تفسير القرآن: لمحي الدين بن عربي ـ إنتشارات ناصرخسرو ـ طهران (١٣٦٨هـ.ش).

٢٥ ـ تفسير كنزالدقائق: للميرزا محمّد المشهدي ـ مؤسّسة جماعة المدرسين ـ قم المقدّسة (١٤١٠هـ).

٢٦ ـ تفسير نورالثقلين: للشيخ عبدعلي بن جمعة الحويزي ـ مؤسّسة إسماعيليان ـ قم المقدّسة (١٤١٢هـ).

٢٧ ـ تلخيص المحصل المعروف بنقد المحصل: لنصير الدين محمّد الطوسي ـ جامعة طهران (١٣٥٩هـ.ش).

٢٨ ـ تمهيد القواعد: لعلي بن محمّد الأصفهاني ـ تصحيح السيد جلال الدين الآشتياني ـ طهران.

٢٩ ـ التوحيد: الشيخ محمدبن علي الصدوق ـ مؤسّسة جماعة المدرسين ـ قم المقدّسة.

٣٠ ـ توضيح الملل: ترجمة مصطفى بن خالقداد ـ مقدمة وتصحيح السيّد محمد رضا الجلالي النائيني ـ مطبعة إقبال ـ طهران (١٣٧٣هـ.ش).

٣١ ـ ثواب الأعمال: للشيخ محمّد بن علي الصدوق ـ مكتبة الصدوق ـ طهران (١٣٩١هـ).

٣٢ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: للشيخ حيدر الآملي ـ إنتشارات علمي و فرهنگي ـ طهران (١٣٦٨هـ.ش).

٣٣ ـ حاشية تهذيب المنطق: للمولى عبدالله بن الحسين اليزدي ـ مكتبة الشريف الرضي ـ قم المقدّسة.

٣٤ ـ الدر المنثور: لعبدالرحمن السيوطي ـ مكتبة آيةالله العظمى المرعشي قدّس سرّه ـ قم المقدّسة (١٤٠٤هـ).

٣٥ ـ الدعوات: لقطب الدين الراوندي ـ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم المقدّسة (١٤٠٧هـ).

٣٦ ـ ديوان الإمام علي عليه السلام: أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلّمين عليه السلام ـ إنتشارات اُرومية ـ قم المقدّسة.

٣٧ ـ ديوان حافظ: خواجه حافظ الشيرازي ـ إنتشارات جاويدان ـ طهران (١٣٧٢هـ.ش).

٣٨ ـ ديوان لبيد: مطبعة دار صادر ـ بيروت.

٣٩ ـ رسائل إخوان الصفا: طبع القاهرة ـ ١٩٢٨م.

٤٠ ـ رسالتان في الحكمة المتعالية والفكر الروحي: للشرف البلاسي ـ طبع باريس (١٩٨٦م).

٤١ ـ روضةالواعظين: للفتال النيشابوري ـ مكتبة الشريف الرضي ـ قم المقدّسة.

٤٢ ـ سفينة البحار: للمُحدّث الشيخ عباس القمّي ـ دارالمرتضى ـ بيروت.

٤٣ ـ السيرة النبويّة: لعبدالملك بن هشام الحميري ـ إنتشارات مصطفوي ـ قم المقدّسة (١٣٦٨هـ.ش).

٤٤ ـ شرح أُصول الكافي: لمحمّدبن إبراهيم الشيرازي ـ مؤسسة مطالعات و تحقيقات فرهنگي ـ طهران (١٣٦٦هـ.ش).

٤٥ ـ شرحي الإشارات: لفخرالدين الرازي ونصيرالدين الطوسي ـ مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ـ قم المقدّسة.

٤٦ ـ شرح توحيد الصدوق: للقاضي سعيد القمّي ـ وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ (١٤١٥هـ).

٤٧ ـ شرح دعاء السحر: لسماحة آيةاللّه العظمى الإمام السيد روح اللّه الخميني قدّس سرّه ـ مركز النشر العلمي ـ طهران (١٣٦٢هـ).

٤٨ ـ شرح فصوص الحكم: لتاج الدين حسين بن حسن ـإنتشارات مولى ـ طهران (١٣٦٨هـ.ش).

٤٩ ـ شرح القيصري على الفصوص: لداود القيصري ـ طبع حجري (١٢٩٩هـ).

٥٠ ـ شرح المقاصد: لمسعود بن عمر التفتازاني ـ مكتبة الشريف الرضي ـ قم المقدّسة (١٣٧٠هـ.ش).

٥١ ـ شرح المواقف: للسيد علي بن محمّد الجرجاني ـمكتبة الشريف الرضي ـ قم المقدّسة.

٥٢ ـ شعب الإيمان: لأحمدبن الحسين البيهقي ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت (١٤١٠هـ)

٥٣ ـ الشفاء: للشيخ ابن سينا الحسين بن عبداللّه ـمكتبة آيةاللّه العظمى المرعشي

ـقدّس سرّهـ قم المقدّسة (١٤٠٥هـ).
٥٤ ـ الشواهد الربوبيّة: لصدر المتألّهين الشيرازي ـ جامعة مشهد (١٣٦٠هـ.ش).
٥٥ ـ الصحاح: لإسماعيل بن حمّاد الجوهري ـ دارالعلم للملايين ـ بيروت (١٤٠٧هـ).
٥٦ ـ صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري ـ مؤسسة عزالدين ـ بيروت (١٤٠٧هـ).
٥٧ ـ الصحيفة السجّادية: الامام علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام ـ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم المقدّسة (١٤١١هـ).
٥٨ ـ الصواعق المحرقة: لأحمدبن حجر الهيثمي المكّي ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت (١٤١٤هـ).
٥٩ ـ العقد الفريد: لابن عبد ربه ـ القاهرة (١٩٥٣م).
٦٠ ـ علل الشرائع: للشيخ محمّدبن علي الصدوق ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٦١ ـ العلل المتناهية: لعبدالرحمن بن الجوزي ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت (١٤٠٣هـ).
٦٢ ـ علم اليقين: للمحدّث محمّدبن المرتضى الكاشاني ـ إنتشارات بيدار ـ قم المقدّسة.
٦٣ ـ عوالي اللآلي: للشيخ محمّدبن علي الإحسائي ـ مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي قدّس سرّه ـ قم المقدّسة (١٤٠٣هـ).
٦٤ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: لمحمّدبن علي الصدوق ـ منشورات الأعلمي ـ طهران (١٣٩٠هـ).
٦٥ ـ الفتوحات المكيّة: لمحيي الدين بن عربي ـ المكتبة العربية ـ القاهرة ـ (١٩٧٢م).
٦٦ ـ فصوص الحِكَمْ: أبو نصر محمّد الفارابي ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ إنتشارات بيدار ـ قم المقدّسة (١٤٠٥هـ).
٦٧ ـ القاموس المحيط: لمحمّدبن يعقوب الفيروزآبادي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت (١٤٠٧هـ).
٦٨ ـ الكافي: للشيخ محمّدبن يعقوب الكليني ـ دارالكتب الإسلامية ـ طهران (١٣٩١هـ).

٦٩ ـ كسر الأصنام الجاهلية: لصدر المتألّهين محمّدبن إبراهيم الشيرازي ـ طهران (١٣٤٠هـ.ش).
٧٠ ـ الكشّاف: لمحمودبن عمرالزمخشري ـ دارالكتاب العربي ـ بيروت ـ (١٤٠٧هـ).
٧١ ـ كشف الخفاء: لإسماعيل بن محمّد العجلوني ـ مطبعة القدسي ـ القاهرة (١٣٥١).
٧٢ ـ كشف المراد: للعلاّمة الحسن بن يوسف الحلّي ـ مكتبة المصطفوي ـ قم المقدّسة.
٧٣ ـ كشكول البهائي: لبهاء الدين بن حسين بن عبدالصمد العاملي ـ مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت (١٤٠٣هـ).
٧٤ ـ كلمات مكنونة: للعارف المحقّق محمّد محسن الفيض الكاشاني ـ إنتشارات فراهاني ـ طهران (١٣٦٠هـ.ش).
٧٥ ـ كنزالعمّال: لعلي بن حسام الهندي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت (١٤٠٩هـ).
٧٦ ـ كنوز الحقائق: لعبد الرؤوف المنّاوي ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت.
٧٧ ـ لسان العرب: لأبي الفضل محمّد بن منظور ـ أدب الحوزة ـ قم المقدّسة (١٤٠٥هـ).
٧٨ ـ المباحث المشرقية: لمحمّدبن عمر الرازي ـ مكتبة بيدار ـ قم المقدّسة (١٤١١هـ).
٧٩ ـ مثنوي مولوي: لجلال الدين البلخي ـ تصحيح نيكلسون (١٩٣٣م).
٨٠ ـ مجمع البحرين: للشيخ فخرالدين الطريحي ـ مكتبة الهلال (١٩٨٥م).
٨١ ـ مجمع البيان: للشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي ـ دارالمعرفة ـ بيروت.
٨٢ ـ مجمل اللّغة: لأحمدبن فارس بن زكريا ـ دفتر تبليغات إسلامي ـ قم المقدّسة.
٨٣ ـ مجموعة مصنّفات شيخ الإشراق: لشهاب الدين يحيى السهروردي ـ مؤسسة مطالعات و تحقيقات فرهنگي ـ طهران (١٣٧٢هـ.ش).
٨٤ ـ مرآة العقول: للشيخ محمّد باقر المجلسي ـ دارالكتب الإسلامية ـ طهران ـ (١٤٠٤هـ).
٨٥ ـ مرقاة الأسرار: للقاضي سعيد القمّي.
٨٦ ـ مسند أحمدبن حنبل: لأحمدبن حنبل الشيباني ـ دارالفكر ـ بيروت.

٨٧ ـ مشارق أنوار اليقين: للحافظ رجب البرسي ـ مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.
٨٨ ـ مشارق الدراري شرح تائية ابن الفارض: لعزّالدين محمود الكاشي ـ طهران (١٣٥٧هـ.ش).
٨٩ ـ مصباح الأُنس: لمحمَّدبن حمزة الفناري ـ طهران (١٣٢٣هـ).
٩٠ ـ مصباح الكفعمي: للشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي ـ مؤسّسة إسماعيليان ـ طهران.
٩١ ـ مصباح المتهجّد: لشيخ الطائفة محمّدبن الحسن الطوسي.
٩٢ ـ المصباح المنير: لأحمدبن محمدبن علي المقري الفيومي ـ دارالهجرة ـ قم المقدّسة (١٤٠٥هـ).
٩٣ ـ المغرب في ترتيب المعرب: لناصربن عبدالسيدبن علي المطرزي ـ مطبعة دائرة المعارف ـ الهند (١٣٢٨هـ).
٩٤ ـ مفاتيح الجنان: للشيخ عباس القمّي ـ إنتشارات إيران (١٣٧١هـ.ش).
٩٥ ـ مفاتيح الغيب: لصدرالدين محمّدبن إبراهيم الشيرازي ـ مؤسّسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي ـ طهران ١٣٦٣هـ.ش.
٩٦ ـ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني الحسين بن محمّد ـ المكتبة المرتضوية ـ طهران.
٩٧ ـ الملل والنحل: لمحمّدبن عبدالكريم الشهرستاني ـ دارالمعرفة ـ بيروت (١٣٩٥هـ).
٩٨ ـ من لا يحضرهُ الفقيه: للشيخ محمّدبن علي الصدوق ـ دارالكتب الإسلامية ـ طهران (١٣٩٠هـ).
٩٩ ـ مناقب ابن شهر آشوب: لمحمّدبن علي بن شهر آشوب المازندراني ـ إنتشارات علاّمة ـ قم المقدّسة.
١٠٠ ـ مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: لابن المغازلي علي بن محمّد الشافعي ـ المكتبة الإسلامية ـ طهران (١٣٩٤هـ).

١٠١ ـ منظومة السبزواري: لملاّ هادي السبزواري ـ نشر ناب ـ طهران (١٤١٣هـ).

١٠٢ ـ مهج الدعوات: لرضي الدين علي بن موسى بن محمدبن طاووس ـ إنتشارات كتابخانه سنائي ـ طهران.

١٠٣ ـ النهاية: لابن الأثير الجزري ـ مؤسّسة إسماعيليان ـ قم المقدّسة (١٣٦٤هـ.ش).

١٠٤ ـ نهج البلاغة: للشيخ محمّد عبده ـ سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ دمشق.

١٠٥ ـ الوافي: للفيض الكاشاني محمّد محسن بن مرتضى ـ مكتبة آيةالله العظمى المرعشي(قدّس سرّه) ـ قم المقدّسة (١٤٠٤هـ)

١٠٦ ـ وسائل الشيعة: للشيخ محمّدبن الحسن الحرالعاملي ـ المكتبة الإسلامية ـ طهران (١٤٠٣هـ).

١٠٧ ـ وفيات الأعيان: لأحمدبن محمّدبن خلّكان ـ مكتبة الشريف الرضي ـ قم المقدّسة (١٣٦٤هـ.ش).

١١- فهرس الموضوعات